جامعة قطر

كليّة الآداب والعلوم

الخطاب المقدماتي في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) لعبد الله بن المقفع

إعداد

نورا محمد عمر

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الآداب والعلوم

للحصول على درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

يونيو 1440/2019

©2019. نورا محمد عمر. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة نورا محمد عمر بتاريخ 23 أبريل 2019، وَوُفِقَ عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه .وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزء من امتحان الطالب.

د. عبد الحق بلعابد

المشرف على الرسالة

د. عبد القادر فيدوح

مناقش

د. امتنان الصمادي

مناقش

د. أحمد الجوة

تمّت الموافقة:

الدكتور راشد أحمد الكواري، عميد كليّة الآداب والعلوم

المُلخَّص

نورا محمد عمر، ماجستير في اللغة العربية وآدابها:

يونيو 2019.

العنوان: الخطاب المقدماتي في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) لعبد الله بن المقفع

المشرف على الرسالة: الدكتور عبد الحق بلعابد

يندرج البحث ضمن الأولويات البحثية في الجامعة؛ إذ ينخرط في مجال الأبحاث التي تخدم الهوية والتراث. من حيث إن العودة إلى التراث يُعد مقّومًا من مقومات النهوض بالمجتمع ونمائه. وبناءً على هذه الرؤية البحثية الواعية، وبهدف إضافة الجديد ضمن الدراسات الأدبية والنقدية؛ جمع بحثي ما بين مُدونة تراثية قديمة، ومقاربة نقدية حديثة.

ولتحقيق ما سبق، سعى البحث إلى الكشف عن اشتغال الخطاب المقدماتي في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)؛ إذ إن المقدمة هي عتبة مهمة من عتبات الكتاب؛ لأنها تُعَدُّ دليلًا توجيهيًا للقارئ. وعلى الرغم من وفرة الدراسات حول الكتاب؛ إلا أنه لم يحظ بدراسة عتباته النصية بشكل مستقل. فلذلك أردت تقديم دراسة مُفصّلة حول الخطاب المقدماتي في الكتاب.

وفي سبيل بلوغ أهداف الرسالة اتبعت المنهج الوصفي، القائم على مقاربات متعددة تتغير بحسب تنامى سيرورة الرسالة وضروراتها. ومنها المقاربة الشعرية التي تُعين على معرفة الخصائص النوعية والجمالية في النصوص الأدبية.

شكر وتقدير

والدي؛ دافعي ومُحفزي

والدتي؛ مَأمني ورشَادي

مُشرفي؛ مُعلمي ومُبشّري

أساتذتي؛ سَماحة العارِفين

إخوتي؛ عَالمي ونوّارتي

رِفقة دربي؛ أُنسي وبهجتي

لكم جَميــل شُكري

الإهداء

إلى من شَغفهم حُب العَتبات

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... **د**

الإهداء ..... **ه**

قائمة الجداول ..... **ح**

مقدمة..... 9

الفصل الأول: خطاب المقدمة حدوده واشتغاله النقدي في الدراسات الغربية والعربية.....20

المبحث الأول: العتبات ومكوناتها 20

المطلب الأول: العتبات في الثقافة الغربية 21

المطلب الثاني: العتبات في الثقافة العربية: 35

المبحث الثاني: حدود المقدمة واشتغالها النقدي قديمًا وحديثًا.....44

المطلب الأول: المقدمة في الدراسات الغربية: 44

المطلب الثاني: المقدمة في الدراسات العربية: 49

الفصل الثاني :اشتغال خطاب المقدمة في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وتناصاته 70

المبحث الأول: اشتغال خطاب المقدمة في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وطبعاته.....70

المطلب الأول: اشتغال المقدمات الغيرية في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة): 75

المطلب الثاني: اشتغال المقدمات الذاتية في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) 103

المبحث الثاني: تناص خطاب المقدمات في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وطبعاته..... 125

المطلب الأول: تناص المقدمات الغيرية للكتاب: 128

المطلب الثاني: تناص المقدمات الذاتية للكتاب: 130

المطلب الثالث: تناص المقدمات الغيرية بالمقدمات الذاتية: 132

خاتمة:..... 138

المصادر والمراجع..... **140**

قائمة الجداول

الجدول (1) المناص النشري 24

الجدول (2) المناص التأليفي..... 25

مقدمة

تندرج الرسالة ضمن متطلبات برنامج الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة قطر، تحت تأطير علمي من الفريق البحثي الخاص بالدراسات البينية في خطاب ما بعد الحداثة. بالإضافة إلى أن البحث يقع ضمن الأولويات البحثية في الجامعة، والمُركزة على موضوع هُوية الأمة وتراثها المتمثل في المدونات التراثية، التي يُعاد إحياؤها من خلال المقاربات الحديثة.

وانطلاقًا من هذه الأهمية العلمية اخترت موضوع الخطاب المقدماتي في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) لعبد الله بن المقفع، الذي يجمع بين مقاربة نقدية حديثة ومدونة أدبية تراثية، غنية بالمحمولات الثقافية والفكرية.

ويتمثل داعيّ الذاتي في اختياري لموضوع البحث في أنّ درس العتبات لَفت انتباهي أثناء دراستي الجامعية. فوجدته من أقرب المواضيع لنفسي، وتحديدًا عتبة المقدمة؛ لجدة مقاربتها داخل الدرس النقدي المعاصر، ولذلك اخترتها موضوعًا للبحث والاشتغال. كما أن كتاب كَلِيلَة ودِمنَة كتاب ثري بالحكمة والقَص ، لذلك وجدت أنه من أمتع المدونات للاشتغال عليها، وذلك بتوجيه من المُشرف أيضًا.

وأمّا داعيّ الموضوعي لاختيار كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)؛ فتمثل في غِنى الكتاب بالمقدمات الغيرية والذاتية، التي سَمحت لي أن أقارن وأحلل وأحقق أهداف بحثي. فقد شهدت المقدمات الذاتية على مراحل ترجمة الكتاب من الهندية إلى الفارسية الفهلوية، وبينت مسوغات نقله إلى العربية على يد ابن المقفع. على حين حققّت المقدمات الغيرية الكتاب وأكدت أهميته وتاريخانيته.

بالإضافة إلى أن كتاب كَلِيلَة ودِمنَة يُعد من أوّل المدونات النثرية العربية التأسيسية، التي لم يُشتغل على مقدماتها باستقلالية من قبل. فعلى الرغم من وفرة الدراسات حول الكتاب، فإنه لم يُلتفت إلى عتباته النصية بشكل مستقل.

وانطلاقا من هذه الأسباب والدواعي، ارتكز بحثي على هدفين أساسيين تمثلا في:

1- الكشف عن كيفية اشتغال خطاب المقدمات في الدراسات العربية والغربية.

2- تحليل مقدمات الأبواب في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) لعبد الله بن المقفّع وتأويلها؛ من خلال البحث عن خصائصها، ووظائفها، وآليات اشتغالها.

وفي سبيل تحقيق أهداف الرسالة انطلق البحث من تساؤلات رئيسة تمثّلت في:

- ما حدود اشتغال الخطاب المقدماتي النقدي في الدراسات العربية والغربية ومحدداته؟
- كيف اشتغل الخطاب المقدماتي في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)؟

وبناءً على هذه الأهداف والتساؤلات تجلّت إشكالية البحث في فهم كيفية تحقق الخطاب المقدماتي في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)، وكيفية توظيفاته.

وحتى تصل الرسالة إلى مُرادها قسمتها إلى: مقدمة وفصلين، وخاتمة، ثم قائمة المصادر والمراجع. أما المقدمة فهي التي أعرضها الآن. في حين عُني الفصل الأول بالجانب التنظيري (العتبات)، وجاء في مبحثين: تناول المبحث الأول موضوع العتبات ومكوناتها، ودَرَسَ العتبات في منشئها الأول في الثقافة الغربية، وثم عرض عتبات الثقافة العربية.

وخصصت المبحث الثاني إلى بيان حدود المقدمة ومحدداتها؛ وقصدت بحدود المقدمة؛ تعريفاتها اللغوية والاصطلاحية في الساحة النقدية الغربية والعربية قديمًا وحديثًا، أما حدودها فهي خصائصها ووظائفها وأنماطها وصيغها.

وأفردت الفصل الثاني من الرسالة لمعالجة الجانب التطبيقي (المُناص)، وهو الفصل المتعلق باشتغالات خطاب المقدمة في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وتوظيفاته. وقسمته إلى مبحثين: عَرض المبحث الأول اشتغال خطاب المقدمة في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وطبعاته؛ ويسعى إلى الكشف عن مجالات اشتغال المقدمات الغيرية في الكتاب، والمقدمات الذاتية.

أما المبحث الثاني فقد وظفته لدراسة تناص خطاب المقدمات في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وطبعاته. من حيث الكشف عن تعالق المقدمات الغيرية، والمقدمات الذاتية، ومن ثم تناص المقدمات الغيرية بالذاتية.

وحتى تصل الرسالة إلى نتائجها؛ اتبعت المنهج الوصفي الذي سيعتمد فيه البحث على مقاربات تتغير بحسب تنامي سيرورة الرسالة وضروراتها؛ إذ إن المنهج الوصفي سيعينني في التعرف إلى العتبات، ودراسة تفاعلها مع النصوص الأصلية؛ بهدف فهم حدودها ومحدداتها، وتحليل خصائصها، وصَوغ جوانب اشتغالاتها، وتفاعلاتها في النصوص. كما سيُمكنني من وصف الإشكالية البحثية التي يسعى البحث إلى الإجابة عنها والتفصيل فيها. إلى جانب التركيز على المقاربة الشعرية عند (ج. جينيت) (Gérard Genette) التي ستعينني على رصد الخصائص النوعية والجمالية في النصوص الأدبية؛ بُغية فهم شعرية العتبات، ولاسيما عتبة المقدمة؛ لأن الشعرية هي آلية منهجية تعين على استنباط القوانين الناظمة للأعمال الأدبية. ومن ثَم سأوظفها في بحثي لأكشف وظائف الخطاب المقدماتي في الكتاب.

ولمّا كانت المقدمة هي الميثاق الواصل بين المؤلف والقارئ، فإنها تُهيئَه على بناء تصوّر أولي عن النص الذي سيتفاعل مع عوالمه أثناء القراءة. فجاءت المقدمة لتُحرَر مصطلحات الكتاب وتُبين مقاصد مفاهيمه. فيُعبر المؤلف من خلالها عن حدوده موضوعه ومحدداته؛ بهدف فض التداخل في ذهن المتلقي.

وليس هذا فحسب، بل أن المقدمة تضمن سلامة فهم المتلقي، وتُحقق القراءة الصحيحة للنص. كما أنها تكشف عن التساؤل الإشكالي الذي سيحاول الكِتاب الإجابة عنه، فلا يضيع وقت القارئ، ولا يُبدد جهده. ولذلك يراهن الخطاب المقدماتي على إمكانياته في تقديم منظور أولي لما يعرضه الكتاب، ويقارب تطلعات القارئ في فهم منهج الكاتب.

ولمّا كانت المقدمة بهذه الأهمية البحثية والمعرفية، عُني بحثي بالخطاب المقدماتي الذي ما يزال البحث فيه جديدًا؛ لأن هذا الموضوع يُعد من بين المواضيع التي تعرِف حراكًا في المؤسسة النقدية الغربية لجدة المقاربة. وهذا ما يعرفه النقد العربي في السنوات الأخيرة بعدما بدأ الاشتغال النقدي على خطاب العتبات، ومنه خطاب المقدمة.

- الدراسات السابقة:

عُنيت الدراسات النقدية الغربية والعربية منذ البلاغات القديمة بالمداخل النصية، وأولّت العتبات اهتمامًا مقدّراً. ويُعد المؤسس الفعلي لها الناقد الفرنسي ج. جينيت، الذي اجتهد كثيرًا ووصل، حين بلوّر حدود العتبات ومحدداتها، وأسّس لها عِلمًا معرفيًا خاصًا بها.

وعلى الرغم من حداثة الدراسات النقدية المتخصصة في خطاب العتبات، فإنها تحاول رصد تراكم نوعي لدراساتها، التي وإن اختصت بدراسات العتبات السردية في الغالب الذي يعد مهد ظهورها، فهي لم تغفل النصوص والخطابات التراثية شعرًا أو نثرًا، سواء كانت تشتغل على العتبات عامة، أو أحد عناصرها مثل (المقدمة). وسأعرض مجموعة من الدراسات السابقة التي اشتغلت على العتبات، وقاربت عتبة المقدمة:

1. دراسة قام بها ولات محمد، بعنوان (مقدمة ابن المقفع لـ (كَلِيلَة ودِمنَة): مستويات القارئ)، جامعة سلجوق، تركيا، 2014م:

قارب المؤلف صُوَر المتلقي ومستوياته التي وضعها ابن المقفع، وقد قسّمها بحسب مستويات القراء الثقافية والفكرية، وغايتهم من القراءة، وفئاتهم العمرية. إذ جَزّأ ابن المقفع مستويات القراء إلى الآتي: الأول القارئ المثقف الذي يبحث عن الجوانب الفلسفية والفكرية في قصص (كَلِيلَة ودِمنَة)، أما الثاني فهو القارئ البسيط، فما يعنيه هو التسلية التي سيجنيها عند قراءة القصص المشوقة التي جاءت على ألسنة الحيوانات، دون أن يهتم بما ترمي إليه من مقاصد وعِبر. أما الثالث فهو قارئ صغير السن لا يُعنى بالقيم الأدبية والفكرية من الكتاب. كما بيّن أسباب امتناع ابن المقفّع عن تفسير الرموز والإشارات التي وردت في القصص، وفتح المجال أمام القارئ ليصبح هو المَعني في التفسير والتصريح بمعانيها.

وقد امتازت الدراسة بعرض موجز عن الأغراض التي وضعها ابن المقفع لكتابه وأقسام القُراء، بيد أن المدونة التي استند إليها الباحث في دراسته، هي طبعة واحدة من طبعات كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وهي طبعة غير مُحققة؛ إذ أوردها في مصادر بحثه كالآتي: بيدبا، (1974). (كَلِيلَة ودِمنَة). (ترجمه إلى العربية: عبد الله بن المقفع). دمشق، دار الوطن العربي للطباعة والنشر. وعليه فإن هذه الدراسة موجزة، وغير مفصلة، وبحاجة إلى عرض المزيد من الجوانب التي وردت في مقدمات (كَلِيلَة ودِمنَة)، وربطها بالنص الأصلي وهذا ما يطمح إليه بحثي.

2. كتاب (مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي "مقدمة حديث عيسى بن هشام" و"إنشاء الروايات الحديث) الذي كتبته السعدية الشاذلي، لنيل دبلوم الدراسات العليا بالمغرب، 1998م:

اهتمت الكاتبة بدراسة النص الموازي عامة والمقدمات خاصة؛ إذ حاولت الكشف عن أهمية المقدمات، ودرست خصوصية المقدمات العربية على مستوى الشكل والوظيفة. كما حاولت تحليل

المقدمة إلى أكثر من وحدة؛ بغرض البحث عن أشكال جديدة لم تُكشف بعد وبيان سماتها. كما سعت الكاتبة إلى ضبط بعض المصطلحات؛ لتفادي المزج بين المقدمة والعناصر المشابهة لها: كالاستهلال والتمهيد وغيرها. وقامت أخيرًا بمقاربة الخطابات المقدماتية في المدونات التراثية، وحلل كيفية اشتغالها.

وبناءً على ما سبق أُختير هذا الكتاب ضمن المراجع المهمة في البحث؛ بسبب تقاطعه مع موضوع البحث. وما يختلف به بحثي عن الكتاب هو اشتغاله على مدونة نثرية تراثية وتُعد من أوائل الكتب التأسيسية في النثر العربي القديم، أما الكتاب فاشتغل على مدونة تراثية أخرى.

3. كتاب (مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع)، للدكتور عباس أرحيلة، المغرب، 2003م:

قَصَدَ الكتاب معالجة قضايا جوهرية لامست الخطاب المقدماتي في التراث العربي، في فترات ظهور كتب الحضارة الإسلامية القديمة، عندما ذكر أشكال الخطابات المقدماتية عند المؤلفين الذين أدعّوا أنهم لم يُسبَقوا في تأليف ما جادت بهم أقلامهم، فتجاوزوا السابقين، محققين بذلك أبهى مسوغات التفرّد والإبداع، فلم يغفل الكتاب عن ذكر عناصر المقدمة وخصائصها، كما وردت في الكتب العربية التراثية.

واستنادًا إلى هذا الغِنى المعرفي في الكتاب؛ وجدت ضالتي المعرفية؛ لأنه يقارب محوري البحثي المتعلق بالمقدمة في الدراسات العربية. وأجد أن الخطاب المقدماتي خطابًا مهمًا؛ يلتمس القارئ من خلاله تناسب النص معه قبل أن يقرأه. كما يشمل تحديدًا صريحًا للمقاربات التي يريد أن يحققها في النص، شريطة أن تكون جميع هذه العناصر المسبقة موجزة. فلا تُبدد متعة اكتشاف القارئ لما يريده النص، ولا تكسر مجاديف البحث في أغوار ما تكتّم عنه. مع العلم بأن الخطاب

المقدماتي لابد أن يضم بعض الجوانب المبهمة والمضمرة، فيجيب عنها النص الذي يحمل على عاتقه الكثير من الآمال والتطلعات من قِبل القارئ.

وما يختلف فيه بحثي عن الكتاب هو الاختصاص بمقدمات كَلِيلَة ودِمنَة؛ لأن الكتاب اعتنى بحركة التأليف في الحضارة العربية الإسلامية، وركز على مقدمات العلوم، وخاصة الشرعية منها مثل؛ القرآن الكريم، والسنة النبوية. على حين أن بحثي عُني بمدونة تراثية أدبية واحدة ودرس خطابها المقدماتي.

4. دراسة بعنوان (خطاب المقدمات النقدية في السرد القطري)، لعبد الحق بلعابد، الجزائر، 2018م:

قارب الباحث عتبة المقدمة، التي تصاحب النص الأصلي وتوازيه. واختار الخطاب المقدماتي في السرد القطري؛ بغية تأويله. معتمدًا على منهج شعرية العتبات الذي أسس له جيرار جينيت. فدرس اشتغال الخطاب المقدماتي في الأعمال الأدبية القطرية بمقاربة نقدية شعرية. وابتدأ بدراسة خطاب المقدمة في الدرسين النقديين الغربي والعربي. وعرض مكوناته ووظائفه وأنواعه، وخصائصه مستعينًا بمجموعة من السرديات القطرية في الجانب التطبيقي مثل:(عناكب الروح)، و(الفريج)، و(الحضن البارد). وتكثر الأمثلة وتتعدد في الأعمال الأدبية القطرية التي تنولت.

وعليه فإن الدراسة تتقارب مع موضوع رسالتي في جانبين: يظهر الجانب الأول في القسم التنظيري الخاص بتحديدات عتبة المقدمة، وتمظهراتها في الدرس النقدي في الثقافة الغربية والعربية. إلى جانب القسم التطبيقي الخاص بالمقاربة الشعرية للخطاب المقدماتي في السرد القطري.

وما سأنتفع به في بحثي هو الجانب النظري الذي عرض فيه الباحث وظائف المقدمة بصورة واضحة ومتسلسلة، وطبق عليها في شِقه التطبيقي.

ومن ثَم سأستعين بهذا الفصل التطبيقي لفهم الآلية التطبيقية في البحث؛ إذ أن الجامع بين بحثي والدراسة هو أنهما يعملان على المقدمات الغيرية والمقدمات الذاتية. غير أن بحثي يختلف عن هذه الدراسة في كونها درست خطاب المقدمات النقدية في السرد القطري وهي مؤلفات حديثة، بينما اشتغل بحثي على الخطاب المقدماتي لمدونة تراثية قديمة.

5. كتاب (عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي)، لهاشم اسمهر، بيروت، 2009م:

قدّم الكتاب مفهوم خطاب العتبات في جوانبه النظرية والنقدية، وحاول التأريخ له في العالم الإسلامي القديم والحديث والمعاصر. كما عرض أمثلة متنوعة من العتبات كالعناوين والخواتيم، والمقدمات التي هي موضوع بحثي؛ إذ فصّل في أنواع المقدمات وشرحها باستفاضة، وبيّن الاختلافات بين المقدمات الذاتية والمقدمات الغيرية، وشرح وظائفها وقيمتها الأدبية. علاوة على توضيحه المحمولات الثقافية التي أنتجت تلك المقدمات. ولم يكتف الكتاب بالجانب النظري فحسب، بل ضرب أمثلة تطبيقية على مقدمات في التراث العربي القديم.

وانطلاقًا من هذه الأهمية أجد أن الكتاب قيمة مضافة لبحثي، خاصة في الجانب التطبيقي من البحث. غير أن بحثي سيركز على مدونة تأسيسية في النثر العربي القديم، وهي (كَلِيلَة ودِمنَة) التي لم يتعرض لها الكتاب.

6. كتاب (مدخل إلى عتبات النص)، لعبد الرزاق بلال، المغرب، 2000م:

درس المؤلف عددًا من المقدمات الموجودة في التراث العربي القديم تنتمي للقرنين الثالث والرابع الهجريين. ومنها مقدمة (طبقات فحول الشعراء) لابن سلّام الجُمحي، و(الشعر والشعراء) لابن قتيبة، و(الوساطة) لعبد العزيز الجرجاني، وغيرها من المؤلفات. كما وقف على معالم النصوص الموازية للنص الأساس، وملامحها في النقد العربي القديم.

وميّز بين المقدمة، والرسالة، والحوار. إلا أن تحليله للمقدمات جاء بسيطًا ومختصرًا، ولم يتسم بالعمق؛ إذ كان التركيز على الجانب النظري أكثر من الجانب التطبيقي، لذلك سأستفيد منه في الفصل الأول من رسالتي. وهذا ما يختلف عنه بحثي الذي سيقدم دراسة مستقلة عن مقدمات كتاب كَلِيلَة ودِمنَة.

7. كتاب مصطفى سلوي، (عتبات النص: المفهوم والموقعية والوظائف)، الرباط، 2003م:

فصّل المؤلف في شكليات خطاب المقدمة التراثية عند العلماء المسلمين، ووضح مفهومها، وأنواعها، ووظائفها. كما وقف على تطبيقات المُحدثين في خطاب المقدمة. فدرس مكونات التأليف الإبداعي والأكاديمي للمقدمات. ومنها المقدمات الذاتية (مقدمة المؤلف)، والمقدمات الغيرية (غير المؤلف)، ومقدمة الناشر وهذا ما يتقاطع فيه الكتاب مع بحثي الذي يتطرق للمقدمات الذاتية والغيرية في كتاب كَلِيلَة ودِمنَة.

كما أنني سأستفيد من الكتاب في الفصل النظري من الرسالة، وتحديدًا المبحث الخاص بالمقدمات التراثية؛ لأن الكتاب شرح الخطاب المقدماتي التراثي عند العلماء المسلمين القدامى. إلا أن بحثي يختلف عن الكتاب من حيث إن المؤلف تعرّض لعتبة العنوان وعتبة الإهداء ومجال اشتغال بحثي هو عتبة المقدمة، بالإضافة إلى أن بحثي يتطرّق للمقدمات التراثية والمقدمات الحديثة، في حين اقتصر الكتاب على المقدمات التراثية فحسب.

8. كتاب عبد الحق بلعابد، (عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص)، الجزائر، 2008م:

يُعد الكتاب مرجعًا أساسيًا لكل باحث في مجال العتبات؛ لأن الباحث هو من المهتمين بالعتبات في الساحة النقدية العربية، وأول من قارب مشروع جيرار جينيت الشعري.

فقد بيّن المؤلف في كتابه، أهمية العتبات وفصّل في مفاهيمها ووظائفها، ومكوناتها وآليات اشتغالها واعتنى بتوضيحها. فقد عالج كيفية اشتغال العتبات ومقاربتها داخل المؤسسة النقدية،

وذلك من خلال تقسيمات موضوعية ومنهجية قاربها بعدما فَهِم مشروع جيرار جينيت الشعري مؤسس العتبات. وبناءً على خلفية الكتاب المعرفية، اخترت هذا الكتاب ليكون من بين المراجع المهمة في الرسالة؛ لأنه سيعينني على فهم شعرية المقدمة.

وما يختلف فيه بحثي عن الكتاب؛ هو أن بحثي يتخصص في الخطاب المقدماتي تحديدًا، ويطبقه على مدونة تراثية قديمة. غير أن الكتاب شرح العتبات النصية في مجملها، ولم يطبقها على مدونات تراثية.

9. كتاب (هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل لشعيب حليفي)، القاهرة، 2004م:

فكّك الكاتب خطاب العتبات في الرواية، إلى جانب مقاربته للبناء الدلالي. فأفرد الفصل الثاني لدراسة الخطاب المقدماتي والوعي النقدي. وركز فيه على المقدمة لعدها عنصرًا أساسيًا في النص. كما بيّن دورها في فك رموز العمل الأدبي، والكشف عن الوعي النقدي للكاتب.

كما فرّق الكاتب بين مفهوم المقدمة والمدخل، من خلال ضرب أمثلة على أعمال عربية حافلة بخطاب مقدماتي مُشرق، وأتى بكتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) لعبد الله بن المقفع كمثال لهذه الخطابات المقدماتية المتميزة، ولكنه لم يفصّل في الجانب التطبيقي إذ كانت الدراسة ذات طابع نظري.

وهذا ما اختلفت فيه الدراسة عن بحثي؛ إذ يسعى بحثي إلى فك مغاليق عتبة مقدمات كتاب كَلِيلَة ودِمنَة. غير أن هذه الدراسة تلتقي مع بحثي في اشتغالهم على عتبة المقدمة، بالإضافة إلى أن الكاتب درس هوية العلامات في العتبات؛ وهذا هو السبب الذي جعله من ضمن الكتب المدعمة لموضوع الرسالة.

أما الصعوبات التي واجهتها في مسيرتي البحثية فهي: أن كتاب كَلِيلَة ودِمنَة يضم نوعيّن من المقدمات: مقدمات ذاتية وأخرى غيرية. وعليه توّجب عليّ الاشتغال على آليتين نقديتين

مختلفتين؛ لتفكيك مغاليق تلك المقدمات: الأولى آلية تراثية قديمة، والثانية آلية نقدية حديثة. بالإضافة إلى صعوبة القراءة في المدونة التراثية، وقصر مُدة إنجاز الرسالة.

غير أن هذه الصعوبات تلاشت بفضل الله أولًا، ثم بجهود المُشرف على الرسالة ثانيًا الدكتور الفاضل عبد الحق بلعابد؛ الناقد المتخصص في العتبات. الذي أعانني كثيرًا، ولم يتوان في إرشادي، من خلال توجيهاته الرصينة، التي ساعدتني على فهم آليات اشتغال العتبات عامة والمقدمات خاصة. كما مدّني بقائمة مهمة من المصادر والمراجع التي قوّت بحثي، ومكنتني من تحقيق أهدافي البحثية. كما أخص بالشكر الجزيل اللجنة الاستشارية لرسالتي، واللجنة المناقشة وأسرتي الطيبة.

الفصل الأول: خطاب المقدمة حدوده واشتغاله النقدي في الدراسات الغربية والعربية

المبحث الأول: العتبات ومكوناتها

المطلب الأول: العتبات في الثقافة الغربية

المطلب الثاني: العتبات في الثقافة العربية

المبحث الثاني: حدود المقدمة واشتغالاتها النقدية قديمًا وحديثًا

المطلب الأول: المقدمة في الدراسات الغربية

المطلب الثاني: المقدمة في الدراسات العربية

المبحث الأول: العتبات ومكوناتها

المطلب الأول: العتبات في الثقافة الغربية(*)

بدأ الاهتمام بالكتاب في الحضارة الغربية مع ظهور المطبعة وانتشارها في العالم الغربي، فقد وفرّت الجهد والمال في خدمة الكتاب؛ وذلك من خلال سهولة طبعه ونشره، وأصبحت المطبعة تغني عن عمل الخطاط. ولعل ما يؤكد تصدّر المطبعة " أن الكتاب الغربي المخطوط ظل سائداً حتى الربع الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي... وفي عام 1456 م ظهر أول كتاب من مطبعة (جوهان جنفايش)، وانتشرت الطباعة والمطابع بدءاً من "ماينس" مهد هذه الصناعة إلى سائر أنحاء أوروبا "[1]. فيتضح مما سبق أن الساحة الفكرية الغربية والثقافية المعرفية، عرفت تطورًا مع ظهور المطبعة.

وفي ظل هذا النماء المعرفي تأسست مقاربة نقدية جديدة على الساحة النقدية الغربية، على يد الناقد الفرنسي جيرار جينيت (Gérard Genette)، وهي مقاربة المتعاليات النصية عامة، والعتبات على وجه التحديد. والتي جاءت ضمن مشروعه الشعري في بدايات منتصف القرن الماضي، إلا أن كانت هناك إرهاصات أولية للنصوص الموازية في الدراسات النقدية الغربية على

(*) سأستند إلى كتاب عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،2008م. في تحديد العتبات النصية في الثقافة الغربية؛ لأن الباحث عبد الحق كاشف العتبات وشرحها و "خطا خطوة إيجابية نحو العتبات، تعريفًا، وتلخيصًا وتحليلًا وتركيبًا، شارحًا ومفسرًا شكل معناها" تقديم سعيد يقطين، لكتاب عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص20.

[1] منال المشوي، شعرية العتبات في النثر العربي القديم أدب الكتاب أنموذجًا، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الحق بلعابد، جامعة الملك سعود، السعودية، 2015م، ص43.

يد جاك دريدا (Jacques Derrida) في كتابه (التشتيت) الذي حدد فيه مجالات اشتغال المداخل النصية مثل عناصر الاستهلال، والمقدمة، والديباجة وما إلى ذلك.

وكذلك كتاب (الميثاق السير ذاتي) الذي ألفه فيليب لوجان (Philip Logan)، وعرض فيه الحواشي، كذلك (مارتان بالتار) الذي استخدم مصطلح المناص لأول مرة على النصوص التي تحيط بالنص مثل العنوان(*).

ولكن مصطلح المناص نضج على يد (ج. جينيت) عام1987م؛ إذ درس النصوص الموازية للنص الأصلي وأطلق عليها مصطلح (العتبات)، أو (المناص)، بحسب الترجمات العربية لهذا المصطلح. فهو يرى في مشروعه الشِعري القائم على أن المؤلفات تتكون من بنيتين أساسيتين: بنية النص، وبنية عتباته (نصوصه الموازية).

وفي هذا تكمن أهمية العتبات التي تختلف أدوارها باختلاف مواقعها في الكتاب. فتتباين مجالات اشتغالهم تبعًا لأدوارهم الوظيفية. كما عكف المؤسس على تحليل عناصر عتباته ومستوياتها وأنماطها. ليخبر عن المناص (Paratexte) بأنه "نص يوازي النص الأصلي، فلا يُعرف إلا به ومن خلاله"(1).

ويلاحظ مما عُرض أن العتبات تأتي على شكل نصوص موازية للنص الأصلي ومدعمة له. فلا تَحيد عن موضوعه ولا سياقه الذي ظهر فيه، "وتكمن أهميتها في كون قراءة المتن تصير مشروطة بقراءة هذه النصوص؛ فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها فكذلك لا يمكننا

(*) للتوسع في معرفة رحلة المناص قبل جيرار جينيت يرجع لكتاب عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص. فهو أحد المراجع المهمة في العتبات؛ فقد قارب فيه المؤلف رحلة المناص من قبل جيرار جينيت، وعنده، وبعده، تحديدًا في الفصل الأول من الكتاب.

(1) كتاب عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص. ص28.

الدخول في عالم المتن قبل المرور بعتباته"[1]، فتتشكل على هيئة أبنية دلالية تُبحر في أغوار النص لتُكاشف موضوعاته، وتقارب غاياته.

ولا تقتصر مهامها على ذلك فحسب، بل أنها تتخذ أنماطًا إيحائية، وصيغًا دلالية، مرتبطة بمضمون النص الأصلي فيتفاعل معها القارئ. ولعل أبرز خلاصة أنه على الرغم من تباين أشكال العتبات ومواقعها، فإنها تقوم بوظيفة واحدة مهيمنة، تتجلى في تقريب معاني النص ومدارات اشتغاله.

وضمن هذه الوظائف يتخذ المناص(العتبات)، أنواعًا متعددة تظهر في الكتاب، منها:

أ. المناص النشري / الافتتاحي (مناص الناشر):

ويقصد به " الإنتاجيات المناصية التي تعود مسؤوليتها للناشر المنخرط في صناعة الكتاب، إذ تمثل في: الغلاف، التجليد، كلمة الناشر الإشهار.."[2]؛ ويبرز بهذا المعنى أن المناص النشري، أو الافتتاحي هو كُل النصوص الموازية، التي تشير إلى مسؤولية القائمين على الكتاب، في نشره وإنتاجه. وينقسم المناص النشري إلى قسمين، كما يظهر في الجدول (1)[3]:

---

[1] عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، أفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2000م، ص23.

[2] عبد الحق بلعابد، فتوحات روائية؛ قراءة جديدة لمنجز روائي عربي متجدد، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، 2015م، ص 40.

[3] عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص46.

جدول (1) المناص النشري:

النص المحيط النشري	النص الفوقي النشري
الغلاف	الإشهار
صفحة العنوان	قائمة المنشورات
الجلادة	الملحق الصحفي لدار النشر
كلمة الناشر	

يتبين من الجدول (1)، أن المناص النشري هو مجموع النصوص الموازية التي تتعلق بالمسؤوليات القانونية والرسمية في الكتاب، كما يتعلق بالجوانب الإشهارية. ومن ثم فإنه يتمثل في عتبة صفحة الغلاف، وصفحة العنوان، والجلادة، ودار النشر التي تولت مسؤولية نشر الكتاب، وكلمة الناشر، والملحق الصحفي للدار.

ب. المناص التأليفي (مناص المؤلف):

وهو كل نص موازيًا/ عتبة تتعلق بمؤلف الكتاب "وينخرط فيها كل من: اسم الكاتب، العنوان، العنوان الفرعي، الإهداء، الاستهلال.."[1]، وتتفرع هذه العتبات وفق الجدول (2)[2]:

[1] المرجع السابق، ص40.

[2] المرجع نفسه، ص47.

الجدول (2) المناص التأليفي:

النص المحيط التأليفي	النص الفوقي التأليفي	
اسم الكتاب	العام	الخاص
العنوان (الرئيسي والفرعي)	اللقاءات (الصحفية، والإذاعية التلفزيونية)	المراسلات (العامة والخاصة)
العناوين الداخلية	الحوارات	المسارات
الاستهلال	المناقشات	المذكرات الحميمية
المقدمة	الندوات	النص القبلي
الإهداء	المؤتمرات	التعليقات الذاتية

النص المحيط التأليفي	النص الفوقي التأليفي	
اسم الكتاب	العام	الخاص
التصدير	القراءات النقدية	
الملاحظات		
الحواشي		
الهوامش		

يظهر من الجدول (2) أن المناص التأليفي ينقسم إلى قسمين رئيسين: يُعنى القسم الأول (النص المحيط التأليفي) بمؤلِف الكتاب فيما يتعلق بنبذة عنه، وعن تاريخيه، ومؤلفاته وما إلى ذلك. كما يُعنى بمداخل الكتاب والنصوص الاستهلالية، والمقدمة، ولمن أهدى المؤلف كتابه، وكيف صدّر له. كما هو الأمر بالنسبة إلى الملاحظات التي وضعها في مؤلَفه (بفتح اللام)، وحواشيه وهوامشه. أما القسم الثاني فيُعرف بـ(النص الفوقي التأليفي)، ويتفرع إلى قسمين: عام وخص، يندرج تحت القسم العام مجموع الحوارات واللقاءات التي قام بها المؤلف بمختلف أنواعها ومجالاتها.

كذلك يهتم بالقراءات النقدية التي قام بها المؤلف وقاربها في كتابه. أما القسم الخاص فيتمثل في النصوص الشخصية بالنسبة إلى المؤلف مثل المذكرات الحميمية، والتعليقات الذاتية وغيرها من النصوص التي تكفل مسؤولية الكاتب فيما كتب.

ولمّا كان لأي عتبة وظائف محددة، وأدوار تتعين بحسب التقسيمات الآنفة الذكر، فإن من الصواب أن أقف بالتفصيل على العتبات في الدرس الغربي؛ لأبين حدود كل عتبة ومحدداتها:

1- العنوان:

يُقصد بالعنوان هو "مجموع العلامات اللسانية، من كلمات وجمل، وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف"[1].

فلا شك أنه من البديهي أن يُفكر مؤلف النص مليًا في متطلبات السوق قبل أن يرتضي عنوانًا لكتابه. ولعل هذه المسوغات كانت أحد الأسباب التي قادت المختصين في النصوص الموازية إلى بيان أهمية العنوان. عندما كرّسوا له درسًا سيميائيًا، ومنهجية مستقلة؛ تُفسر أدواره

---

[1] عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص67.

التأويلية في فهم النص الأصلي والتفاعل معه، فضلًا عن آثاره في عمليات التلقي. فهذه التحديدات بيان بموقف العنوان ودلالاته المتمايزة، ووظائفه الإفهامية.

وعلى هذا الأساس بدأت الإرهاصات الأولى لدراسة العنوان عند فرنسوا فروري (François Fourier)، وأندري فونتانا (AndrieFantana) وهما عالمان فرنسيان قاما بدراسة عام 1968م، بعنوان: عناوين الكتب في القرن الثامن. وتلته دراسات أخرى على يد كلود دوشي (Claude Duchet)، بعنوان (الفتاة المتروكة والوحش البشري، مبادئ عنونة روائية). ثم تبعتهم كتابات جيرار جينيت، الذي لم يغفل عن عتبة العنوان بل ضمنها في كتابيه أطراس (Palmipsestes) وعتبات(Seuils) ليجعل منه أهم النصوص الموازية (Paratexte) للنص الأصلي.

وفي سياق التأطير لحدود العنوان ومحدداته؛ وضع جيرار جينيت عدة وظائف للعنوان ومنها: أولًا وظيفة التعيين، وهي وظيفة رئيسة للعنوان؛ أي أن العنوان هو البنية المسؤولة عن تسمية العمل فيميزه عن سواه؛ لأنه من الصعب أن تُصاغ رواية أو كتاب بدون عنوان. وثانيًا وظيفة تحديد المضمون؛ بمعنى أن العنوان يحدد مضمون العمل وموضوعه، ولكنها وظيفة ثانوية غير ثابتة. وأخيرًا وظيفة تحديد الجمهور، وهي أيضًا وظيفة ثانوية لا تحضر في كل العناوين.

وتكثُر الأمثلة وتعدد على الذين اشتغلوا على عتبة العنوان، من ضمنهم ليو هوك (Leo Hoek)، وكتابه (سِمة العنوان)، الذي عرض فيه أهم مقاربات العنوان وأسس لمنهجيته ومعياريته، فعُد مرجعًا مهمًا في فقه العنوان[1]. كما أن هنالك الكثير من الأعلام البارزين الذين كتبوا في علم

---

[1] للاستزادة ينظر: عبد القادر رحيم، العنوان في النص الإبداعي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2-3، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2008م، ص233.

العنوان، أمثال: جون كوهين (Jean Cohen) في كتابه (بنية اللغة الشعرية)، وروبرت شولز (Roberte Choles) في كتابه (اللغة والخطاب الأدبي).

ومع وجود كل تلك التحديدات اتخذ العنوان أنماطًا متنوعة تتمثل في:

- أن يكون كلمة واحدة؛ مثل (البؤساء) لفيكتور هوغو (Victor Hugo)، (المسخ) لكافكا (Franz Kafka)، (الجذور) لأليكس هيلي (Alex Haley).
- أن يكون جملة فعلية أو إسمية، مثل رواية (الأرض الطيبة) لبيرل باك (Pearl S. Buck)، و(مزرعة الحيوان) لجورج أورويل (George Orwell)، (الآمال الكبيرة) لتشارلز ديكنز (Charles Dickens)، (الحرب والسلام) لتولستوي (Leo Tolstoy).
- أن يكون أسماء شخصيات: (توم سوير) لمارك توين (Mark Twain)، (جين اير) لتشارلوت برونتي (Charlotte Brontë).
- أن يكون أسماء أماكن؛ (مرتفعات ويذرنغ) لإميلي برونتي (Emily Brontë).

وغيرها من الأشكال الخاصة بالعناوين، ومن الأنماط الأخرى للعناوين كأن يكون أرقامًا وتواريخًا، أو نعوتًا، أو أن يحيل إلى جنس النص الأدبي؛ ملحمة، أو شعر، أو قصة...، وقد تتعالق العناوين ببعضها كما تتعالق النصوص ببعضها (التناص)[1].

---

[1] يوسف الإدريسي، عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2015م. ص 65.

2- صورة الغلاف:

وهي ذلك الرمز الصوري الذي يتموضع في صفحة الغلاف. وعادة ما تكون عبارة عن رسومات دالة على محتوى الرواية أو الكتاب أو ما جُعلت لأجله. وقد تظهر على شكل معين مثل: رسمة نهر، موسيقى، جبال، طبيعة، فتاة، ... إلى آخره. وقد تتجلى على هيئة رسومات مموهة أو ألوان متداخلة لتأخذ شكلًا معينًا، ولكن هذا التمازج ليس اعتباطيًا بل يرمي إلى دلالات بصرية وجمالية، وفنية متعلقة بالنص؛ وذلك لما لها من قدرة على تضمين معاني كثيرة في أشكال بسيطة.

فعلى سبيل المثال رواية (الأم) لمكسيم غوركي (Maxim Gorky) التي تتحدث عن الأم رمز الاحتواء والانتماء. فلم يُقتَصر التطابق بين الفكرة المسبقة عن الأم الحنون وما حملته الرواية، بل وانسجمت صورة الغلاف مع مدلول الأم، فترابطت صورة الغلاف مع مضمون الرواية. كما أن الحالة الشعورية المُترقبة التي لازمت وجوه العمال في الغلاف، تناسبت مع أحداث الرواية عندما قرروا القيام بالثورة بهدف تجريد النظام البرجوازي من سلطته وقهره في الرواية، ونادوا بتحقيق النظام الاشتراكي ليضمنوا حقوقهم التي سُلبت منهم عنوة.

فـ (الأم) في بداية الرواية هي الأم الطيبة التي تُناضل من أجل راحة ابنها محاولة حمايته، وبعد ذلك تفهمت رغبته في التحرر من قيود السلطة والطبقة المالكة. فاحتضنت طموحات الشباب في التحرر من القهر السلطوي، حتى غدت أمًا لكل أبناء الطبقة التي يمثلها ابنها.

وعلى هذا الأساس، تجلّت صورة الغلاف بهيئة متماثلة مع مضمون الرواية، جاءت في صورة أم كبيرة في السن غطى البياض رأسها. تحمل في ملامحها معالم الحنان والرحمة، فالتقت هذه التجاعيد الرحيمة بملامح ثورية على وجه مجموعة من الشباب القوي المناضل والمكافح الذي

ارتدى زِي العمال البسيط، بملامح ثورية جادة تأبى الخضوع والإذعان؛ لرغبتهم الشديدة في تغيير واقعهم السياسي والاجتماعي.

ومن هذا المثال السابق يُمكن القول إنّ صورة الغلاف أدّت وظائفها الدلالية، عندما دلّت على مضمون الرواية بطريقة واضحة وصريحة. ومن اللافت للنظر أن الصورة توزعت في فضاء الغلاف بترتيب متناسق، فلم تغط على عنوان الكتاب ولا اسم المؤلف. بل تميزت بثباتها في ذاكرة المتلقي إلى حد كبير، وذلك حتى إذا نسي القارئ عنوان الكتاب لا ينسى صورة (الأم) الحنون، وبذلك يتحقق ارتباط كلي بين القارئ والنص الموازي والنص الأصلي بشكل متناغم.

وعلى النقيض، قد يستعين بعض المؤلفين برسومات سريالية غامضة تكون عصيّة على الفهم والتأويل ومشفرة بالنسبة للمتلقي، ولكنها بلا شك ترمي إلى دلالات معقدة وغامضة يفهمها مؤلف النص وبعض القُراء القادرين على استيعاب الرسمة.

ولا تقف أشكال صور الغلاف على هذا الحد بل قد تظهر من خلال سلسلة من الرسومات التي تتوالى في الصفحات الأولى وقبل بداية النص. ويعود ذلك "إلى وعي الناشرين وبعض الكُتاب الذين يصدرون أعمالهم على نفقاتهم الخاصة بقيمتها الجمالية والإيحائية، ودورها الفعال في جلب اهتمام القارئ ودفعه إلى تصفح الكتاب...، ولكي يقتني نسخة منه"[1].

3- التصدير:

عرّف ج. جينيت التصدير على أنه "اقتباس يتموضع (ينقش) عامة على رأس الكتاب أو في جزء منه"[2]؛ فهو العتبة التي يستهل بها الكاتب نصه وتتموضع قبل النص. وعلى هذا الأساس

---

[1] عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص72.

[2] المرجع السابق، ص106.

عيّن جينيت أربع وظائف للتصدير: تتمثل الأولى في الوظيفة التعليقية، وتنقسم إلى قسمين: الأول التعليق على عنوان الكتاب وشرح مفرداته ومقاصده. أما القسم الثاني فيتمثل في التعليق على النص بغية إبانة موضوعه بشكل عام، والتلميح لأهداف الكتاب بصورة ضمنية غير مباشرة؛ حتى لا يُهدم أفق توقعات المتلقي قبل فعل القراءة. فيكون عمل التصدير منوط بإرسال إشارات فاتحة لشهية المتلقي حتى يواصل القراءة. أما القسم الثالث للتصدير فيتعلق بتضمين اقتباسات من كبار الكُتاب، ولكنه لا يحضر دومًا.

أما الوظيفة الأخيرة فهي وظيفة الحضور والغياب؛ أي مستويات حضور التصدير فهو "علامة على الثقافة وكلمة جواز تثاقفي ينقشها الكاتب على صدر كتابه"[1]. فبالرجوع للوظيفة الرابعة يظهر أن التصدير يستنطق النص من خلال عمليات التلقي والتأويل.

4- المقدمة:

عرّف ج. جينيت في كتابه (عتبات) المقدمة / الاستهلال من حيث كونهما "ذلك المصطلح الأكثر تداولًا واستعمالًا في اللغة الفرنسية واللغات عمومًا، وكل ذلك الفضاء من النص الافتتاحي بدئيًا كان أو ختميًا، والذي يعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص، لاحقًا به أو سابقًا له، لهذا يكون الاستهلال البعدي أو الخاتمة مؤكدة لحقيقة الاستهلال"[2]، أما جاك دريدا فقد ميّز بين المقدمة والمدخل، فالمقدمة تتغير وتعدد من طبعة إلى أخرى، فتتمايز بحسب الظروف التي انتجتها[3].

---

[1] المرجع السابق، ص111.

[2] عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص112.

[3] يوسف الإدريسي، عتبات النص في التراث، ص74-75.

فالمقدمات عند ج. جينيت هي الخطاب الذي يشرح فيه مبدع النص غاياته من الكتابة، ومواضيعه. وكانت توضع في بدايات الكتب منذ كتابات الشعراء الإغريقيين أمثال: هوميروس ورابليه. وفي هذا السياق أشار جينيت إلى أن المقدمات في التراث الغربي القديم لم تكن موسعة كما هي عليه في العصر الحديث ومجرياته؛ لأنها لم تتضمن على الإشكالات التي يضعها الكاتب كما في العصر الحديث، كذلك لم تذكر التساؤلات والأهداف التفصيلية من الكتاب، على عكس المقدمات الحديثة، التي تقوم على خمسة عناصر وهي:

- الشكل: ويُراد به شكل العمل الأدبي، فقد تكون المقدمة شعرية، وقد تكون نثرية، وقد تكون حوارية بين أكثر من شخص.
- المكان: يقصد المكان الذي تظهر فيه المقدمة، فإما أن تكون مقدمة قبلية، تتموضع في بداية الكتاب وقبل النص، وهو موضعها في الغالب. وعِلة وجودها في البداية هو أن تخطف أنظار المتلقي وتُحدد مواضع اهتمامه من البداية قبل القراءة. وقد تكون مقدمة بعدية تأتي بعد النص، وقد تتعدد المقدمات بحسب جدة الطبعات وتعددها.
- اللحظة: هي الفترة التي يتم فيها كتابة المقدمة، ومن الصعب تحديد هذه اللحظات؛ لأنها قد تحدث قبل كتابة النص، وقد يختم بها المبدع كتابه.
- المرسل: هو مبدع النص وكاتبه، وعليه يُمكن تقسيم المقدمات إلى مقدمات ذاتية؛ يكتبها المؤلف نفسه. أو مقدمات غيرية؛ يكتبها شخصًا آخر، وقد تكون هناك شخصية خيالية يُوقع بها المؤلف عمله.
- المُستقبِل: هو مُتلقي النص وقارئه، وفي الغالب إن قراء المقدمات هم قُراء الكتاب، على عكس قُراء العناوين الذين قد لا يقتنون الكتاب ولا يطلّعون عليه.

فكما هو الشأن بالنسبة لبقية العتبات، فإن للمقدمة عدة وظائف أهمها:

- تحقُق فعل القراءة الجيدة/ الحسنة للنص: بمعنى أن تكون المقدمة هي المرشد أو الدليل الذي يساعد القارئ على استخلاص أفكار الكتاب، والدليل الذي يعينه على فهم دلالات النص. لكونها العتبة التي توضح أغراض الكاتب، وأهمية كتابه، وجدته وتميزه. كما أن من وظائف المقدمة أن تُجيب عن سؤال الكيفية؛ أي (كيف يُقرأ النص؟) وما هو نهج القراءة الذي يتوقعه المؤلف من القارئ؛ لضمان سلامة فهم النص.
- التنبيه والإخبار: يتحقق ذلك من خلال التوجيه إلى حيثيات الكتاب وأفكاره ومواضيعه، بصورة موضوعية وصادقة. ويُذكر فيها أسماء الأشخاص والجهات التي ساعدت المؤلف على انتاج الكتاب ونشره.
- اختيار القارئ: تُفعّل هذه الوظيفة عن طريق إرسال إشارات مُبطنة وضِمنية في المقدمة؛ بهدف الترحيب بالقراء الذين يتوافقون فكريًا وأيدلوجيًا مع الكاتب، وإقصاء القراء غير المناسبين واستبعادهم بطريقة ذكية.
- تحليل العنوان وتعليله: تعمل المقدمة كعتبة شارحة للعنوان ومُحررة لمصطلحاته، فتزيل كل الإيهام الناتج عن الدلالات الواسعة للمصطلحات ومحمولاتها في ذهن القراء وأطرهم المرجعية.

5- الحواشي والهوامش:

حدد ج. جينيت تعريفًا للحواشي والهوامش بأنها "ملفوظ متغير الطول مربوط بجزء منتهي تقريبًا من النص، إما أن يأتي مقابلًا له وإما أن يأتي في المرجع"[1]، وبهذا المعنى فإن الحواشي والهوامش هي نصوص موازية للنص الأصلي توفر مساحة للتعليق، أو الشرح أو التفسير أو الإحالة للمصادر والمراجع التي استند إليها الكتاب أو لذكر نبذة عن حدث تاريخي، أو شخصية مأثورة ورد ذكرها في الكتاب ولا يستدعى حضورها في المتن. ومن هذه الأدوار التوضيحية تَعيّن على الحواشي والهوامش أن تتموضع في أسفل الصفحات أو في آخر الكتاب.

[1] عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص126.

المطلب الثاني: العتبات في الثقافة العربية:

مما لا شك فيه أن حركة الإنشاء والتدوين تأخرت في الحضارة العربية؛ وذلك بفعل حركات المشافهة التي شاعت آنذاك. وعلى الرغم من ذلك التأخر إلا أن عصر التدوين والكتابة جاء في زمن مناسب بدلالة أن "عرب الجاهلية قد عرفوا الكتابة بالحروف العربية منذ مطلع القرن الرابع ميلادي، وكتبوا بهذا الخط العربي ثلاثة قرون قبل الإسلام على أقل تقدير ... واتساع ميدان الكتابة وتشعب موضوعها"[1]. وتبعها ذلك عندما بدأت الثقافة العربية إلى تدوين القرآن الكريم، والشعر، والنثر ومختلف العلوم والمعارف.

والملاحظ أن الثقافة العربية القديمة عرفت حركات التأليف والتدوين، وتنبّهت إلى وجود قواعد ناظمة ومحددة للكتابة. وعلى ذلك عرفت الحضارة العربية النصوص الموازية، ولكنها جاءت على شكل إرهاصات أولية. فلم يعيقهم ذلك، بل اشتغلوا على تعريفها والإشارة إلى مجمل عناصرها ووظفوها في مؤلفاتهم. وفهموا المَتن الرئيس أو النص الأصلي، وما يدور حوله من نصوص موازية/ عتبات كالمطالع والتوقيعات والديباجة والعناوين، وغيرها.

واستنادًا على دور الدعوة الإسلامية التي كانت الدافع الأساسي حول تعلم الكتابة؛ بهدف نقل الموروث الديني في البداية وهو القرآن الكريم، ظهرت الحركة المعرفية المتمثلة في الإنشاء والتدوين ونضجت في القرن الثالث الهجري، وتنامت فأنتجت أشكالًا نثرية متنوعة: كالرسائل الديوانية، والتوقيعات، والمناظرات، والمقامات، والتراجم، وأدب الرحلات وغيرها من الفنون الأدبية.

---

[1] ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، ط6، القاهرة، 1982م، ص107.

كما أثارت حركة التدوين فِعل المثاقفة بين الحضارات الإسلامية والحضارات الأخرى؛ ويقصد بالمثاقفة " التفاعل والتداخل والحوار والاحتكاك الثقافي بين الثقافات المتنوعة والمختلفة، الطوعي والندي، والتبادل الثقافي الطبيعي، بما يؤدي إلى تغيّر في الأنماط الثقافية السائدة، بعيدًا عن مفهوم هيمنة ثقافة على أخرى"[1].

فعندما انفتحت الثقافة العربية على بقية الشعوب والحضارات، تناقلت العلوم والمعارف وظهرت أنماطًا أدبية جديدة. غير أن "الاشتغال على خطاب العتبات أمر حديث داخل المؤسسة النقدية، إذ أن النقاد لم يعوا أهميتها، إلا بعد تحولهم المعرفي عن الدراسات الخارجية للنص، إلى الدراسات النصية...، حيث انتبهت بأن النص تصاحبه نصوص توازيه في الأهمية والاشتغال، ولا يمكن أن يتجاهلها النقاد في التحليل، لما تقدمه للنص من تفسير وتوجيه للقراءة والتأويل، ليحصل بهذا الوعي بضرورة جعل العتبات كمبحث نقدي جديد، كان ج. جينيت من أبرز منظريه"[2]، وهذا بموجب أن العرب قد تأثروا بالغرب حديثًا بعد القطيعة مع بلاغتهم القديمة، غير أن الغرب قاموا بتطوير ما وصلهم من البلاغة القديمة.

انطلاقًا مما سبق؛ يتضح تأثر الدراسات النقدية العربية في دراسة العتبات النصية بما جاء عند المؤسسين لهذه الدراسات النقدية. على أنها مجموعة من " بنيات لغوية تتقدم المتون، وتعقبها؛ لتنتج خطابات واصفة لها تعرف بمضامينها وأشكالها وأجناسها، وتقنع القراء باقتنائها"[3] فمن هذا التعريف تتجلى عتبات النص / نصوصه الموازية؛ فهي ذلك الكُل الذي يشتغل حول فلك النص

---

[1] طارق بوحالة، مفهوم النقد الثقافي المقارن عند عز الدين المناصرة، مجلة الموقف الأدبي، العدد 554، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2017م، ص123.

[2] عبد الحق بلعابد، عنفوان الكتابة ترجمان القراءة، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2013م، ص20.

[3] يوسف الإدريسي، عتبات النص في التراث العربي، ص22.

وتحيط به. والتي إما أن تتموضع في بداية الكتاب مثل العتبات الاستهلالية، والمقدمات.. إلى آخره، مثل: اسم المؤلف، العنوان، والإهداء، والمقدمة، وأما أن تتجلى في آخر الكتاب مثل الخاتمة، وصفحة الغلاف الأخير، وغيرها.

فالمقدمة "عتبة تتجلى فيها كل صور الإبلاغ والاستدراج"[1] ومن الذين اشتغلوا على النصوص الموازية في الثقافة العربية؛ عبد الله بن مسلم –المعروف بابن قتيبة– في كتابه (أدب الكاتب)، الذي يعد من أمهات كتب الأدب العربي، ليخبر عنه ابن خلدون في مقدمته قائلًا "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي (أدب الكتاب) لابن قتيبة، وكتاب (الكامل) للمبرد، وكتاب (البيان والتبيين) للجاحظ، وكتاب (النوادر) لأبي علي البغدادي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها"[2].

والمراد من هذه الإشادة التي قدمها ابن خلدون في مقدمته أن كتاب (أدب الكاتب) يُعد من الكتب المؤسسة للمنظومة الفكرية والأدبية العربية، وضوابط التدوين والإنشاء. ويجدر الإشارة إلى أن الكتاب (أدب الكتاب) حمل أكثر من عنوان، ومنها: (أدب الكاتب)، و(أدب الكُتّاب)، و(تهذيب اللغة)، وهذا يدل على أن الكتاب لقيّ اهتمامًا جليًا عند الأدباء والنقاد. ما يؤكد أهميته أن ابن قتيبة استهل كتابه بمقدمة أشبه بالخطبة، وقدمّها إلى الوزير أبي الحسن المتوكل، فاستحضر فيها دواعي التأليف، وغايات الكتاب ومقاصده، وتقسيمات فصوله وأبوابه؛ وذلك بحسب الترتيب

---

[1] الهاشم اسمهر، عتبات المحكي القصير في التراث العربي الإسلامي؛ الأخبار والكرامات والطرف، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2008م، ص67.

[2] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: هيثم هلال، مؤسسة المعارف، ط1، لبنان، 2007م، ص591.

الذي ارتضاه الكتاب. ومنها ما ذكره في كتاب المعرفة قائلًا: "باب معرفة ما يضعه الناس غير موضعه"[1].

يُجمِل التهانوي العتبات في كتابه (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) فيقول من " الواجب على من شرع في شرح كتاب ما أن يتعرّض في صدره لأشياء قبل الشروع في المقصود، يسميها قدماء الحكماء الرؤوس الثمانية[*]؛

- "أحدها الغرض من تدوين العلم وتحصيله؛ أي الفائدة المترتبة عليه لئلًا يكون تحصيله عبثًا في نظره".
- "وثانيها المنفعة وهي ما يتشوّقه الكلّ طبعًا وهي الفائدة المعتد بها ليتحمل المشقّة في تحصيله، ولا يعرض له فتور في طلبه، فيكون عبثًا عرفًا"[2]؛ وهنا يقصد ذِكر الغاية والهدف من المؤَلف والكتاب، وفي الغالب يُضمّن هذا العنصر في مقدمة الكتاب التي تكشف عن جِدة الكتاب وغاياته.
- "وثالثها السمة وهي عنوان الكتاب، ليكون عند الناظر إجمال ما يفصّله الغرض... وكأن المراد منه تعريف العلم برسمه أو بين خاصة من خواصه"[3]، وعرّفه ابن منظور في باب

---

[1] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (213 – 276 هـ)، أدب الكتاب، حققه: محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، د.ط، بيروت، 2006م، ص21.

[*] وهي الرؤوس الثمانية التي سأنطلق منها لفهم العتبات التراثية.

[2] محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1996م، ص14.

[3] المرجع نفسه، ص14.

عنن "عَنَّ الشيءُ يَعِنُّ ويَعُنُّ عَنَناً وعُنُوناً: ظَهَرَ أَمامك. ويقال علوان الكتاب، وعنوانه، وعُنيانه"[1].

فقد اهتم التراث العربي القديم بالعنوان، وعُد أحد أهم العناصر التي تُساعد على مكاشفة موضوع الكتاب، ومجاله المعرفي فالعنوان عتبة مهمة تشير إلى دلالة النص. وقد عرّفها أبو بكر الصولي في كتابه (أدب الكتاب) أن العنوان هو "الأثر الذي يُعرف به الشيء"[2].

وقال الشاعر:

رأيت لسان المرء عنوان قلبه ورائده فانظر بماذا تعنوَن[3]

أما ابن عبد الغفور الكُلاعي فقد وضع تبريرًا لتسمية العنوان بهذا المصطلح قائلًا: "يحتمل أن يسمى عنوان الكتاب عنوانًا لوجهين: أحدهما أنه يدل على غرض الكتاب ... والوجه الآخر: أنه سمي عنوانًا لأنه يدل على الكتاب ممن هو وإلى من هو"[4]. وعلى ذلك الأساس فقد ارتبط مفهوم الكلاعي للعنوان من خلال أدواره الدالة على غرض الكتاب، والجمهور المستهدف من الكتاب أو الجماعة التي كتب الكتاب لأجلها.

فمن هنا خضع العنوان لتحولات فرضتها مسوغات ثقافية وتاريخية، فقد كانت الأشعار الجاهلية تُكتب بدون عناوين. فقد بدأ الشعراء –قديمًا– قصائدهم بأبيات طللية تعارفوا عليها

---

(1) للاستزادة ينظر: ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، د.ط، بيروت، المجلد الثالث عشر، د.ت، مادة: (عنن)، باب النون، فصل العين، ص293.

(2) أبو بكر الصولي، أدب الكتاب، تحقيق: محمد الأثري، المكتبة العربية، د.ط، بغداد، المطبعة السلفية، د.ط، مصر، 1341هـ، ص144.

(3) أبي محمد عبد الله البطليوسي، الاقتضاب في أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، مصر، 1996م، ص190.

(4) محمد عبد الغفور الكلاعي، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، تحقيق: محمد رضوان الداية، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، لبنان، 1985م، ص59.

وانتهجوها كطريقة استفتاحية لاستهلال القصيدة، وعرض مقاصدهم وأغراض قصائدهم. أما غرض القصيدة فيتجلى لاحقًا بعد هذه الأبيات الأولى. فيتضح أن الغاية الوظيفية والجمالية من عتبة العنوان هي تحديد المخاطبين والفئة المستهدفة من القصيدة، وتسميتهم ما أمكن.

ومن وظائف العنوان الوظيفة الإيحائية؛ ويقصد بها إثارة رغبة المتلقي في اقتناء الكتاب. فيبذل المؤلف قصارى جهده ليجذب القراء نحو كتابه، من خلال اختيار عناوين شيقة ومبتدعة. فضلًا عن الوظيفة الإيديولوجية؛ لأن العنوان يحمل فِكر مؤلِف الكتاب ومقصدتيه.

وهنا يتقاطع تعريف العنوان بكونه" الجسر الممتد بين الصمت والكلام، المؤسس لنقطة الانطلاق فيه"[1]، مع الوظائف التي أوردها التهانوي في كتابه. كما يتضح من التعريفات السابقة أن للعنوان دور إعلامي وترويجي وإعلاني في الآن ذاته. وفي ظل هذه الأهمية يهتم بعض الكُتاب، بوضع عناوين مميزة تخطف نظر المتلقي بطريقة مبتكرة وذكية. وفي بعض الأحيان يكون المحتوى غير متوافق مع ما حمله العنوان من جمال وزخرفة دالة.

- المؤلف:

ويكمل التهانوي إيضاح النصوص الموازية /العتبات فيقول:" ورابعها المؤلف وهو مصنف الكتاب ليركنّ قلب المتعلم إليه في قبول كلامه، والاعتماد عليه لاختلاف ذلك باختلاف المصنفين"[2]؛ إذ يمثل المؤلف عتبة أساسية من عتبات الكتاب؛ لأنه المعني بالقيمة الأدبية والفكرية والجمالية في الكتاب. فاسم المؤلف يعد عنصرًا ترويجيًا لشراء الكتاب. وذلك عندما يكون للمؤلف خبرة علمية أو مؤلفات تشهد له.

---

(1) يوسف الإدريسي، عتبات النص في التراث، ص61.

(2) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص14.

فقد ظهرت حركة إسناد المؤلفات إلى مؤلفيها، بعد تنامي المؤلفات والكتب وبدأت بالانتشار؛ لذلك تأسس هذا العنصر مؤخرًا ولم يكن منتشرًا في السابق. ولعل هذا السبب وراء اختفاء ظاهرة السرقات الأدبية، أي ظهور مفهوم إسناد المؤلفات بأسماء مؤلفيها.

ويتابع التهانوي القول:

- "وخامسها أنه من أيّ عِلم هو؛ أي من اليقينيات أو الظنّيات، من النظريات أو العمليات، من الشرعيات أو من غيرها، ليطلب المتعلم ما يليق به من المسائل المطلوبة له"[1]، ويشير هنا إلى جنس التأليف والمجال المعرفي الذي يندرج تحته.
- "سادسها أنه من أي مرتبة هو؛ أي بيان مرتبته فيما بين العلوم إما باعتبار عموم موضوعه أو خصوصه، أو باعتبار توقفه على علم آخر، أو عدم توقفه عليه، أو باعتبار الأهمية أو الشرف، ليقدم تحصيله على ما يجب أو يستحسن تقديمه عليه، ويؤخر تحصيله عما يجب أو يستحسن تأخيره عنه"[2].
- "وسابعها القسمة، وهي بيان أجزاء العلم وأبوابه ليطلب المتعلم في كل باب منها ما يتعلق به ولا يضيع وقته في تحصيل مطالب لا تتعلق به، كما يقال: كتابنا هذا مرتب على مقدمة وبابين وخاتمة، وهذا الثاني كثير شائع لا يخلو عنه كتاب"[3] وهنا يعرض خطة التأليف أو الفهرس؛ وهي العتبة المخولة لتوزيع محتويات الكتاب ضمن أبواب، وفصول، ومباحث وإلى آخره؛ بغية الايضاح والتيسير على القارئ.

---

[1] التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص14.

[2] المرجع نفسه، ص15.

[3] نفسه.

- ويتابع: "وثامنها الأنحاء التعليمية وهي أنحاء مستحسنة في طرق التعليم، أحدها التقسيم وهو التكثير من فوق إلى أسفل؛ أي من أعم إلى ما هو أخص، كتقسيم الجنس إلى الأنواع، والنوع إلى الأصناف، والصنف إلى الأشخاص. وثانيها التحليل، وهو عكسه، أي التكثير من أسفل إلى فوق، أي من أخص إلى ما هو أعم"[1]، وهذه العتبة التي تندرج في المقدمة عندما يوضح الكاتب المنهج الذي يسيره في كتابه.

فالمقدمة في الدرس العربي إذًا هي العتبة التي تتموضع في بداية الكتاب، وتستوعب عناصر التصدير والاستهلال، وتُفصّل القول فيها. وفي ضوء أهميتها يوظفها المؤلف للتنويه عن كل ما يتعلق بكتابه. وذلك بموجب أن المقدمة هي العتبة التي "تنتج خطابًا واصفًا لمتن الكتاب تبين فيه طبيعة موضوعه، وتحدد مجاله المعرفي، وتكشف دواعي الكاتب الذاتية والموضوعية لتأليفه، وتشير أحيانًا إلى المنطلقات النظرية الموجهة لتصوراته وأحكامه، وإلى الضوابط المنهجية التي تتحكم في طرق عرضها وتحليلها والدفاع عنها.

كما تضمنت المقدمة "خُطاطة مختصرة لأبرز مواد الكتاب وأهم أبوابه وفصوله؛ وذلك بهدف وضع القارئ المفترض للنص أو المستهدف به في المدار المعرفي للمتن، وإلى تهيئيه نفسيًا وذهنيًا لكي يجيد فهمه ويحسن تلقيه."[2] فمن خلال هذا التحديد الذي ناقشه الإدريسي، تجلى مفهوم عتبة المقدمة وجماليتها ووظائفها بأنها العتبة الموازية والمُشكلّة للنص وبها تُعرف القيمة الفنية والموضوعية للكتاب.

---

[1] التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص15.

[2] يوسف الإدريسي، عتبات النص في التراث العربي، ص47.

وتأسيسًا على هذه الأهمية المعرفية، حُظيت المقدمة باعتناء المؤلفين، فالكاتب الذي يُبدع في مقدمته ويُحسن كتابتها يعطي إشارات للمتلقي بأن الكتاب سيكون ذاخرًا بالإبداع والتفرد. ومن هنا يمكن القول إن الخطاب المقدماتي عتبة مهمة لا يحبذ اقصاؤه. ويرى عباس أرحيلة في كتابه (مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي)، أن الكُتّاب العرب تمثلوا الخطاب المقدماتي في مؤلفاتهم، وتباينوا في مناهجهم؛ فمنهم من يطيل الشرح فيها ومنهم من يوجزه. ولكن فَهم المؤلفين جماليات المقدمة وشعريتها؛ في إقناع المتلقي باقتناء الكتاب، وقراءته وإرشاده إلى القضايا المحورية التي يقاربها[1].

وبناءً على هذه المقاربات أجد أن العتبات العربية بَرزت في الذاكرة العربية الأدبية منذ القدم، وحتى عصرنا الحالي ولم يأفل نجمها على الرغم من اختلاف أشكالها وغاياتها. وعليه فإن النصوص الموازية ظلت بارزة في الذاكرة العربية القديمة والحديثة على حد سواء، مع تفاوت مفاهيمها وتطبيقاتها. كما جاءت مُكلّفة بغايات توجيهية، وومضات إرشادية تعين على توضيح النصوص ومقاصدها.

---

[1] للاستزادة ينظر: عباس أرحيلة، مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، المغرب، 2003م، ص8-9.

المبحث الثاني: حدود المقدمة واشتغالها النقدي قديمًا وحديثًا

المطلب الأول: المقدمة في الدراسات الغربية:

عرّف جيرار جينيت المقدمة في الدراسات الغربية بعدّها "كل أنواع النصوص الاستهلالية التي تشكل خطابًا سابقًا أو لاحقًا لنص ما"[1]، ومن خلال هذا التعريف تتبين البنُى المكانية للمقدمات، فقد تسبق النص الأصلي، وقد تلحقه. كما "تنسحب صفة الخطاب المقدماتي على كل نص استهلالي ذاتي أو غيري"[2]؛ أي أن هنالك مقدمات ذاتية كتبها مؤلف النص، ومقدمات غيرية لم يكتبها المؤلف.

- محددات المقدمة في الدراسات الغربية[*] :

فهمت الثقافة الغربية عتبة المقدمات " بكونها نصًا افتتاحيًا نثريًا وخطابيًا، يتموقع في بداية الكتاب، أو في وسطه كما هو حال رواية (تريسترام شانديلشتيرن)(Sterne)، أو في نهايته، أو قد يكون جزءا لا يتجزأ من المتن، كما هو شأن أغلب المؤلفات الكلاسيكية في العصر اليوناني والروماني والعصور الوسطى، أو قد تكون بمثابة فقرة استشهادية فوق ظهر الغلاف الخارجي

---

[1] نقلًا عن: السعدية الشاذلي، مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي "مقدمة حديث عيسى بن هشام" و"إنشاء الروايات الحديثة"، سلسلة الأطروحات والرسائل (6)، منشورات جامعة الحسن الثاني، د.ط، المغرب، 1998م، ص48.

[2] نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 2007م، ص62.

[*] للاستزادة ينظر: جميل حمداوي، الخطاب المقدماتي، صحيفة المثقف، العدد 2264، أستراليا، 2012م، ص5. https://tinyurl.com/yycozlba

الخلفي. بيد أن المقدمة لا تكون دائما نثرية وصفية، فقد تكون مقدمة إبداعية: إما شعرية، وإما درامية، وإما سردية، تتوافر فيها المقومات القصصية: من حبكة، وتزمين، وتفضية، وأسلبة"(1).

ولكن "هنري ميتران (H. Mitterand)، يعد المقدمة نوعًا من أنواع الخطابة، وهو منحى قاده إلى طرح التمييز التقابلي بين الخطاب والحكي من وجهة نظر أميل بنفنيست (Émile Benveniste) في نظرية الإبلاغ القولي، فالخطاب هو قول على الحكي، الذي هو نص، وكلاهما يعضد الآخر، ويلتزم بالحديث عنه، فالمقدمة هي المكان الذي يشرح فيه المؤلف الهدف الذي اقترحه، والسبب الذي قاده إلى الكتابة"[2].

كما فرّق جاك دريدا بين وظائف المقدمة ووظائف الاستهلال؛ فالمقدمة ذات حدود نظامية دقيقة، وتؤدي وظائفًا معينة وأساسية، على عكس الآخر الذي لا تحكمه خصائص معينة، كما وضّح أن عمر المقدمة التاريخي أقل من عمر الاستهلال الذي ظهر مع ظهور الكتابات وقد تظهر المقدمة بشكل شعري أو نثري، بحسب مقتضيات الكاتب وما تخوله إمكانياتها ومساحة حضورها على عكس العناصر الأخرى مثل العنوان، أو اسم المؤلف أو اللوقو التي لا تستطيع أن تأخذ تلك الخاصية[3]. وأتت المقدمة في الثقافة الغربي على أنماط مختلفة، مثل رواية (التحولات أو الحمار الذهبي)[4] للوكيوس أبوليوس (Apuleius) تمزج داخل المتن بين التصدير والسرد. ويعني هذا أن ثمة نوعين من المقدمة في الثقافة الغربية: مقدمة متصلة ومقدمة منفصلة، أو مقدمة مدمجة ومقدمة

---

(1) المرجع السابق، ص2.

(2) شعيب حليفي، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2004م، ص49.

(3) المرجع نفسه، ص6

(4) نفسه.

مستقلة"[1]، وعلى الرغم من مختلف التحديدات في الدراسات الغربية للمقدمة إلا إنها نضجت على يد ما قدمه ج. جينيت في كتابه (عتبات).

ولما أن المقدمة هي المفتاح الذي يفتح باب النص ويذكر أغراضه، وحدوده، فإن للمقدمة في الدراسات الغربية موضوعات ووظائف حددها جيرار جينيت ومنها:

1- وظائف السؤال (لماذا):

وفيها تسعى المقدمة إلى الحصول على جواب لماذا ألف الكاتب كتابه؟ أي ما الغرض من هذا الكتاب؟ فيجيب المؤلف عن هذا السؤال من خلال عرضه لموضوع الكتاب، وجنسه، وجدته، وغايته. إذا سؤال لماذا هو السؤال المحوري الموظف للإجابة عن الأسئلة الرئيسة التي تتراود في ذهن القارئ. كما يتفرع إلى عدة أدوار تقوم بها المقدمة، فهو يعول على أهمية الكتاب إذا كانت "أهمية معتبرة، أهمية توثيقية، أهمية فكرية وثقافية، أهمية دينية وإيديولوجية، أهمية أخلاقية، أهمية اجتماعية وسياسية"[2].

وتُحدد هذه الوظيفة مصداقية الكاتب تجاه ما كتب، وموضوعيته، والوحدة البنائية للموضوع في الأفكار وتعاقبها، ووظيفة تقييمية، "وهي الوظيفة الصاعقة، من خلالها يصعق عمل المؤلف ويقيم"[3]؛ وذلك لأن المقدمة تتموضع في بداية الكتاب فتكون في مكان يهيئ القراء على أن يُقدم تقييمه ونقده للكتاب في اللحظة الأولى.

---

[1] جميل حمداوي، الخطاب المقدماتي، ص4.

[2] عبد الحق بلعابد، خطاب المقدمة في السرد القطري، مجلة الأثر، العدد 30، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2018م. ص231.

[3] المرجع نفسه.

ومن ثّم يخلص المستفاد من هذه الوظيفة أنها تبين أهمية الكتاب الذي سنشرع في قراءته، والأسباب الأساسية التي دعت الكاتب إلى تأليف هذا المؤّلف، وحدود بحثه، وتستدعي الظروف والسياقات التي أدت إلى ابتداعه وإنشائه (الكتاب). كما تسرد الكتب التي أُلفت في المجال والدراسات السابقة، وجنس العمل الأدبي. فبناءً على هذه الإشارات فإن هذه وظيفة السؤال (لماذا) تعمل على الإجابة على "أهمية الكتاب وجدته[1]. ومن هنا يمكن القول إن الوظيفية التأصيلية لازمة في الخطاب المقدماتي؛ ويرجع ذلك إلى خاصيتها الإرشادية في المتن، فإذا قفز عنها القارئ سيفوته الكثير من التوضيحات اللازمة.

2-وظائف السؤال (كيف):

تحاول هذه الوظيفية الإجابة عن الكيفية التي يريد بها المؤلف أن يُقرأ كتابه، لأن أي كاتب يريد أن يحصل على قراءة حسنة سليمة، إذًا فإن سؤال الكيفية يضع القارئ أمام طرق منهجية منظمةً تعينه على فهم الطريقة التي نتعامل بها مع الكتاب حسبما يريد مؤلفه. علاوة على أنها تحدد الجمهور المستهدف من الكتاب والقارئ الضمني الذي كُتب الكتاب من أجله، بالإضافة إلى أنها تقوم بعملية تشريح العنوان "وتبرير طوله وقصره.... وتصحيحًا للعنوان حرصًا على عدم الوقوع في الآراء المغرضة."(2) كذلك تتيح الفرصة للمؤلف بأن يصنف كتابه في سياقه المعرفي العام الذي نشأ فيه.

---

(1) عبد الحق بلعابد، خطاب المقدمة في السرد القطري، ص229.

(2) المرجع نفسه.

وبناءً على ما سبق يمكن القول إن "للتقديم الأصلي وظيفة مركزية تتمثل في ضمان قراءة حسنة[1] للنص، من خلال:

- الوصول إلى قراءة.
- الوظيفة الإجناسية؛ "وهي من وظائف المقدمة الموضوعاتية والشكلية تعمل على تعريف الأولي بجنس العمل ككل، فالمقدمة تعمل عمل المؤشر الجنسي بتحديده لطبيعة العمل، هل هو عمل تاريخي أو فلسفي أو روائي أو شعري أو مسرحي... إلى آخره؛ وذلك لأن خطاب المقدمة خطاب محدد لجنس العمل المدروس، فهي نوع من أنواع الخطاب"[2]. وبهذه الوظائف الجوهرية تُجاب أغلب الأسئلة المتوقعة من المقدمة، والمتضمنة في توجيه المتلقي.

---

[1] جميل حمداوي، الخطاب المقدماتي، ص4.

[2] المرجع نفسه، ص9.

المطلب الثاني: المقدمة في الدراسات العربية:

- حدود المقدمة:

- المقدمة لغة:

عرّف ابن منظور المقدمة في معجمه لسان العرب، في باب الميم، فصل القاف: للفعل (قدّم).

فيقول: " في أسماء الله تعالى (المُقدِّم) هو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدّمه. وأَقْدِمْ: زجر للفرس وأمَر له بالتقدم في الحرب. والإقدام: الشجاعة. قال: وقد تُكسر الهمزة من إِقْدْم، ويكون أمرًا بالتقدم لا غير، والصحيح الفتح من أقدَم. وقَيْدُومُ كل شيء وقَيْدامُه: أوله. القدم والسابقة ما تقدموا فيه عن غيرهم، وقيدامُهُ: أوله. وقُدام نقيض وراء. ومقدمة الجيش: هي من قدَّم بمعنى تقدَّم"[1].

- المقدمة اصطلاحًا:

عُرفت بأنها "قطعة من الكلام أقل من المتن يقدم بها المؤلف كتابه، فيشرح من خلال مجموعة من مكوناتها المرتبة والمنظمة قضايا الكتاب ونهجه وظروف وخطة تأليفه، وكذا م يرمي إلى تحقيقه من أهداف."[2] ويتضح من هذا التعريف أن المقدمة هي الجزء السابق لمتن الكتاب والشارح له؛ إذ تتمثل وظيفتها في بيان خطة الكاتب، وعرض مواضيع الكتاب.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني عشر، مادة (قدم): باب الميم، فصل القاف، ص 465- ص468.

[2] مصطفى سلوي، عتبات النص: المفهوم والموقعية والوظائف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، ط1، الرباط، 2003 م، ص23.

كما عرّفت الدراسات العربية المقدمة بأنها هي "الفضاء الافتتاحي بدئيًا كان أو ختميًا، والذي يُعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص لاحقًا به أو سابقًا له، لهذا تكون المقدمة البعدية أو الخاتمة مؤكدة حقيقة المقدمة"[1].

أما مصطلحات التمهيد، والمدخل والتصدير فغالبًا ما ترد متلازمة لمعنى المقدمة "ولا تكاد في معناها العام تخرج عن مفهوم المقدمة"[2]. وعليه لا يفوت على فطنة القراء أن تعريفات المقدمة في اللغة والاصطلاح يُقِرّان أن للمقدمة مهمة واعية في إبراز خفايا النص ودلالته؛ وذلك من خلال عرض غايات المؤلف ومقاصده.

و"خطاب المقدمات لا يُكتب لذاته، بقدر ما تبصمه آثار ظروف أدبية ونقدية واجتماعية ونفسية وتاريخية وإيديولوجية وتجارية مختلفة"[3]، فعلى الرغم من الأهمية السياقية لخطاب المقدمات، يرى البعض أن المقدمات ما هي إلا زوائد إضافية للمتن، ولكن في تقديري هذا الرأي لا يجانب الصواب. ولعل ما يؤكد وظيفة المقدمة أنها" نوع من التعاقد الضمني والصريح بين المؤلف والقارئ"[4]؛ وذلك لأن المقدمات غالبًا ما تضم معطى معرفيًا يريد الكاتب أن يوجه من خلالها القراء، ويُعينهم على فهم النص.

---

[1] عبد الحق بلعابد، خطاب المقدمات النقدية في السرد القطري، ص6.

[2] المرجع نفسه، ص 36.

[3] محمد ابن عياد، خطاب المقدمات في الشعر المغربي الحديث والمعاصر، منشورات سليكي أخوين، ط1، طنجة، 2017م، ص55.

[4] عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، ص17.

- **محددات المقدمة:**

1- المقدمات في الدرس البلاغي القديم:

ارتبط ظهور المقدمة في الثقافة العربية عندما تقاطع العرب مع بلاغتهم القديمة التي قامت على سبك جميل المطالع، وأحسن الاستهلال وأوجز الخُطب؛ إذ وُظفت الدراسات البلاغية في البداية في خدمة القرآن الكريم؛ لشرح معاني آياته الكريمة.

وانتهاجًا بنهج النص القرآني الكريم وبخصوصيته، استُفتحت المؤلفات في الثقافة العربية بالبسملة والحمدلة والتصلية والتسليم؛ وهذا بسبب بدايات السور القرآنية التي ترسّخت عند الكُتاب والمؤلفين. وعلى هذا الأساس يستدعيها الكاتب من إطاره المرجعي عند الشروع في التأليف.

وعدّ من تَخلّى عن هذه العتبات مخالفًا للعرف المجتمعي، وتُوسَمُ كتابته بالبتراء؛ أي المبتورة والفاقدة لأجزاء مهمة أخلّت بهيكلية المؤلَفات، تلك التي عرفتها الثقافة العربية الإسلامية آنذاك. ومن الملاحظ أن هذا الأسلوب المقدماتي ظل سائدًا عند بعض الكُتاب المحدثين. فمنهم ما زال يفتتح مقدمات مؤلفاته بالبسملة والحمدلة والتصلية والتسليم، ثم يختتم تقديمه بشكر الله والثناء عليه لتيسيره عملية البحث وتمامُه.

ولما كان هنالك وجودًا فعليًا لمكونات الخطاب المقدماتي في التراث العربي، تشكلت مجموعة من المكونات التي حددت الخطاب المقدماتي البلاغي. غير أن هذه العناصر التي سيرد ذكرها في قابل الصفحات، لم تكن حاضرة في كل المؤلفات؛ "لأن منها العناصر الأساسية الثابتة (كاسم المؤلف، والعنوان، خطبة المؤلف...)، ومنها العناصر الثانوية التي يمكن الاستغناء عنها إذا لم يكن هناك داع للإتيان بها، مثل (نقد المصادر، تقريظ الكتاب...)، وهذا دال على سنة

التأليف التي كان يحترمها الكتاب والمشتغلون في دواوين الإنشاء عامة"[1]. وتتفرع هذه العناصر إلى:

1.1 الديباجة:

وتُعنى في التراث العربي الإسلامي بالمساحة التي تسِع "البسملة، والحمدلة، والتصلية"[2]، وقيل التسليم[3]. وهي موروثات ثقافية من الحضارة الإسلامية؛ ولذلك فإن أي خطاب يغفل عن ذكر ديباجته يُعد خطابًا ناقصًا. وذلك احتذاءًا بحذو النبي عليه الصلاة والسلام، في حديثه الشريف: "كل أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع"[4] وقيل أجذم، وفي رواية فهو أبتر، وأقطع بمعنى مقطوعة منه البركات. وعليه فإن كل عمل لا يبدأ باسم الله ولا الصلاة على النبي الكريم هو عمل قليل البركة. وهذه تعاليم إسلامية نشأت في ذاكرة المؤلفين العرب القدامى كموروثات دينية واجتماعية أدخلوها في كتاباتهم.

وكان الفيلسوف العربي أبو نصر الفارابي أول من تلمّس مكونات المقدمات، وفصّل في أهميتها "في كتابه (الألفاظ المستعملة في المنطق)، حين قال: وبعد هذا ينبغي أن نعدد الأمور التي ينبغي أن يعرفها المتعلم في افتتاح كل كتاب: وهي غرض الكتاب ومنفعته وقسمته ونسبته ومرتبته وعنوانه واسم واضعه ونحو التعليم الذي استعمل فيه"[5]. وفي هذا الشاهد المذكور عن

---

[1] عبد الحق بلعابد، خطاب المقدمة في السرد القطري، ص228.

[2] عباس أرحيلة، مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ص81.

[3] مصطفى سلوي، عتبات النص: المفهوم والموقعية والوظائف، ص29.

[4] عباس أرحيلة، مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ص83.

[5] المرجع السابق، ص 81.

الفارابي؛ أجد أن المؤلفين العرب القدامى لم يُهمشوا العتبات كفن قبل أن تصبح علمًا، بل اهتموا بها، بل وتجلّت ملامح منهجيتهم العلمية السليمة في مخطوطاتهم التأليفية.

2.1 دواعي التأليف:

وهي "أن يحرص المؤلف على تعداد الأسباب المادية والمعنوية الذاتية والموضوعية التي حفزته على تأليف الكتاب"[1]؛ ويقصد بها ذكر المؤلف لجميع الأسباب التي دعته إلى كتابة مؤلفه، ومسوغات تأليفه؛ لتكون بمثابة دليل توضيحي للقارئ.

وتنقسم الدواعي إلى قسمين: يتمثل القسم الأول في الدواعي الذاتية، أما القسم الثاني فيندرج تحت اسم الدواعي الموضوعية.

أما الدواعي الذاتية؛ فهي تلك الأسباب الحقيقية التي دفعت الكاتب لتأليف كتابه. وهذا ما جرت عليه العادة في مؤلفات الثقافة العربية قديمًا وحديثًا. التي غالبًا ما كُتبت من قِبل المؤلف أو بواسطة شخص قريب للمؤلف، نال من القرابة ما أهلّه من معرفة المبررات الحقيقية التي حثّت الكاتب على التأليف. وهذه الدواعي قد تكون حقيقية، وقد تكون مُتخيلة من وحي المؤلف. وسُميت بالذاتية؛ لأنها تعود إلى ذات الكاتب. "فيذكر المؤلف أن سلطانًا من السلاطين أو خليفة أو أميرًا ... أو جماعة من المتأدبين أو العلماء هم الذين حثوه على تأليف ذلك الكتاب"[2]، فمن خلال الشاهد يتضح أن الذات قد تكون هي الذات الحقيقية للمؤلف، أو الذات الغيرية التي دعته إلى تأليف الكتاب.

---

[1] مصطفى سلوي، عتبات النص: المفهوم والموقعية والوظائف، ص38.

[2] المرجع نفسه.

وعلى سبيل التمثيل لا الحصر لدواعي الذات الداخلية؛ ذكر قُدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) الأسباب الذاتية التي دفعته لتأليف كتابه النقدي، والتي تمثلت في غرض أساسي هو "تصنيف جيده من رديئة"[1]، أما بالنسبة للدواعي الخارجية؛ أقر ابن أبي حجلة المغربي أن السلطان الناصر حسن (756 هـ)، وهو أحد سلاطين دولة المماليك البحرية، أنه المحرك الذي دعاه إلى تأليف كتابه (ديوان الصبابة)[2]، ومن هنا تتبين دواعي الكاتب في تأليف كتابه.

أما القسم الثاني من دواعي التأليف يتمثل في الأسباب الموضوعية التي أدت إلى إنتاج النص، وهي الأسباب التي ترتبط بالنص وليس بمؤلف النص. ومنها: موضوع العمل وفكرته، وجنسه نثري كان أم شعري، أو ديني، أو غيره من الأجناس.

ومن الملاحَظ في هذه الأقسام الذاتية والموضوعية، أن دواعي التأليف ارتبطت بالمضامين المتعلقة بالمؤلف ارتباطًا وثيقًا وبالنص الذي كتبه. وهي جوانب مهمة في شِقيها الذاتي والموضوعي؛ تسترعي انتباه القارئ قبل أن يباشر عملية القراءة، ولا يستقيم حذفها أو التخلي عنها.

ومما يجب ذكره إن المؤلفين لم يفصلوا فصلًا بيّنًا بين الدواعي الذاتية والدواعي الموضوعية. فمنهم من ذكر دواعيه الذاتية، وغفل عن الموضوعية، ومنهم من عمل العكس، ولكن الطريقة التي غلبت هي الاستهلال بالدواعي الذاتية عوضًا عن الدواعي الموضوعية.

ولعل الخطيب التبريزي (502هـ) كان من الذين جمعوا بين الدواعي الذاتية والموضوعية في مقدمة كتابه (شرح ديوان أبي تمام (231 هـ))، مبينًا دواعيه الذاتية بقوله:" وإنما حثني على

---

[1] أبي الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوانب، ط1، القسطنطينية، 1302 هـ، ص2.

[2] شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي، ديوان الصبابة، الجزء الأول، المكتبة الشاملة، 2010م، ص2.
http://shamela.ws/browse.php/book-580#page-2

الاشتغال به، وتمييز ما ذكره العلماء فيه من معنى وإعراب واختلفوا فيه، ميل المولى أبي نصر محمد بن عماد الدين إلى شعره، ورغبته فيه دون سائر دواوين المحدثين. فلما رأيت كثرة ميله إليه، وصدق رغبته فيه، استعنت بالله تعالى على شرحه، وذكر الغريب والمعاني والإعراب فيه، ..."[1].

أما الداعي الموضوعي بالنسبة له اتضح في قوله" نظرت في شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وفيما ذكر فيه من التفاسير، فرأيت بعضهم يُنحي عليه، ويهجّن معانيه، ويزيف استعاراته.."[2] ، ولعل من هذه الأسباب، تبيّن أن غاية المؤلف من الكتاب هو فض مغاليق شعر أبي تمام وشرحْ صِنعته في الشعر وإفادة القارئ المهتم.

على حين اعتمد المرزوقي في مقدمة كتابه (مشكل أبيات أبي تمام المفردة) في شرحه ديوان الحماسة لأبي تمام، على الداعي الذاتي دونًا عن الداعي الموضوعي. قائلًا: "وإنما حثني على الاشتغال به، وتمييز ما ذكره العلماء فيه من معنى وإعراب واختلفوا فيه، ميل المولى أبي نصر محمد بن عماد الدين – مولى أمير المؤمنين – إلى شعره، ورغبته فيه دون سائر دواوين المحدثين. فلما رأيت كثرة ميله إليه، وصدق رغبته فيه، استعنت بالله تعالى على شرحه، وذكر الغريب والمعاني والإعراب فيه، وترجيح بعض أقوال العلماء فيه على بعض؛ لأن منهم من أنصفه ومنهم من أنحى عليه. وربما احتمل البيت معنيين ويكون أحد المعنيين أقوى من الآخر، فلا يميز بينهما إلا من حسن فهمه وصفا ذهنه، لأن نقد الشعر أصعب من نظمه؛ فأوضحت ذلك بإيراد ما

---

[1] الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، الجزء الأول، 1994م، ص11-12.

[2] المرجع نفسه، ص11.

لا محيد عنه للقارئ منه، والناظر فيه، بلفظ موجز قليله يدل على الكثير، وقصيره يغني عن التطويل، فخير الشروح ما قل ودل، ولم يطل فأمل "[1].

من خلال ما تقدّم؛ برز غرض الكاتب ودواعي اختياره شخصية أبي تمام تحديدًا وأشعاره الحماسية. عندما استدعى المؤلف العوامل التي تعين القراء على فهم أشعار الحماسة لأبي تمام؛ لما فيها من دلالات غامضة ومعاني صعبة. واللافت للانتباه أن المرزوقي يدافع في كتابه عن أشعار أبي تمام ولم يرض عن سوء فهمها.

ومن هنا يمكن القول إن المقدمات غالبًا ما تُوظف في توضيح المُراد من الكتاب؛ لاحتوائها على دواعي تأليف النص، فتُمكِن القارئ من رسم خارطة أولية لمعالم النص وأبعاده وحدوده ووضع تصوراته. فمن الملاحظ بالعودة إلى الأمثلة السابقة أن المؤلفين والمحققين والشارحين لم يغفلوا عن ذكر دواعي التأليف؛ لأنهم علموا بأهميتها.

وكما هو الأمر في أهمية عنصر دواعي التأليف في المقدمة، اهتم العلماء المسلمون القدامى بذكر جنس التأليف، والمقصود منه توضيح نوع المؤلَف الذي بين يدي القارئ.

3.1 جنس التأليف / العنوان:

ويراد به "في ممارسة العلماء المسلمين القدامى أن يعرض الكاتب لأمور ثلاثة أو لأحدها، هي: تحديد النوع أو الجنس التأليفي الذي ينمتي إليه الكتاب، وبسط موضوع الكتاب، وتفسير عناصر تعيين جنس المؤَلف، وتوضيح موضوع الكتاب وتفسير عناصر العنوان الذي اختاره

---

[1] المرجع السابق، ص12.

لتأليفه"[1]. ومن هذا التعريف يتجلى اهتمام الكُتاب القدامى بتهيئة عتبات الكتاب قبل الشروع في قراءته.

ومن الذين اعتنوا بعتبة العنوان، أبو منصور الثعالبي (429 هـ) في كتابه الذي سمّاه (أحسن ما سمعت)، وتأسيسًا عليه يقول: "قد أثبت في كتابي هذا أحسن ما سمعت، وسميته بذلك، ورتبته على اثنين وعشرين بابًا فجاء نزهة للناظر وبهجة للخاطر". فيجد الكاتب أن الكتاب يشتمل على أفضل الصيغ التي سمعها في حياته؛ لاشتماله على اثنين وعشرين بابًا يضم أغراض شعرية متعددة ومنها: الأدبيات، التهاني، مكارم الأخلاق، التهاني، التعازي، الشكر، العذر، وغيرها. ومن هنا يمكن القول إن أبي منصور الثعالبي جَمع في كتابه أفضل ما سمع في حياته، من أشعار وقرر أن يسمي كتابه بهذا الاسم؛ ليجذب القراء وبرر سبب اختياره في مقدمة كتابه.

4.1 خطة التأليف:

ويقصد بها النهج الذي انتهجه الكاتب في تأليف كتابه. فقد عُني العرب القدماء بخطة التأليف؛ ليبينوا فيها الطريقة التي اختاروها بغية الوصول إلى مؤلفهم. وتظهر من خلال عرض أقسام الكتاب، وفصوله وأبوابه وِفق الترتيب المعين الذي اتخذه الكاتب؛ إذ تُعد الخطة هي المُرشد الذي يوضح ما سوف يعرضه الكتاب من دون إسهاب أو تقصير.

ومن الذين اتبعوا هذا النهج هو القلقشندي الذي فعّل عنصر صناعة التأليف ونظّر له، فيقول في كتابه (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء): "فشرعت في ذلك بعد أن استخرت الله تعالى، وما خاب من استخار، وراجعت أهل المشورة وما ندم من استشار، مستوعبًا من المصطلح

---

[1] مصطفى سلوي، عتبات النص، المفهوم الواقعية والوظائف، ص47.

ما اشتمل عليه (التعريف والتثقيف)، موضحًا لما أبهماه بتبين الأمثلة مع قرب المأخذ وحسن التأليف، ومتبرعًا بأمور زائدة على المصطلح الشريف لا يسع الكاتب جهلها، متنقلًا من توجيه المقاصد وتبيين الشواهد بما يعرض به من فرع كل قضية وأصلها.. وقد رتبته على مقدمة، وعشر مقالات، وخاتمة"[1].

يظهر من هذا التفصيل أن القلقشندي عرف خطة التأليف وطبقها في كتابه، فهو من الذين تنبهوا إلى وظيفتها الكامنة في رصد مكونات الكتاب بطريقة مفصلة قبل القراءة؛ للكشف عن فصول الكتاب ومحاوره، مما يعين القارئ على معرفة مواضيع الكتاب وغاياته.

5.1 تقريظ الكتاب:

وهي العتبة التي تؤدي وظيفة الإعلان أو الفقرة الترويجية للكتاب؛ لأن المؤلف أو المُقدم – في المقدمة الغيرية– يذكُر مسوغات تميّز الكتاب عن غيره وتفردّه، وذلك من خلال مدحه والتصريح بجدته والثناء عليه. فيروج المؤلف لكتابه الذي أبدع في تأليفه وجعله منقطع النظير عن باقي المؤلفات السابقة والمقاربة لموضوع الكتاب. "كما عمل القدامى على تقريظ مؤلفاتهم ضمن مساحة المقدمة، فيذكرون أن هذا التأليف رائق لا مثيل له وأنه الأول الذي لا يقدر أحد على الزيادة عليه"[2]؛ إذ برزت سمة التقريظ في مسميات الكتب قديمًا أي في عناوينها.

والملاحظ من عناوين الدراسات في الثقافة العربية أنهم اتخذوا كلمات مسجوعة ومتجانسة الأطراف ومُبتكرة لمؤلفاتهم، على سبيل التوضيح: كتاب (الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل)،

---

[1] أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، د.ط، القاهرة، الجزء الأول، 1922م، ص10.

[2] مصطفى سلوي، عتبات النص، المفهوم الواقعية والوظائف، ص51.

(بداية المجتهد ونهاية المقتصد)، (العقد الفريد)، (إصلاح غلط المحدثين)، (عيون الأخبار وفنون الآثار)، وغيرها من العناوين المميزة التي لا حصر لها. فقد اختار كل كاتب عنوانًا ليجعل كتابه في أرفع درجات التفرّد.

ومما لا يخفى على القارئ أن للتقريظ أشكالًا وأنواعًا متعددة ومواقع متنوعة، فنجده يظهر تارة في العنوان، ويبرز تارة أخرى في المقدمة. أو قد يتجلى من خلال المدة التي كتب فيها الكاتب كتابه، مثلما فعل ابن جني في مقدمة كتابه (الخصائص).

6.1 مصادر التأليف:

أدرك أصحاب التأليف في الثقافة العربية معنى رد الأمانات إلى أصحابها. فاتخذوها صفة مصاحبة للرجل الخلوق؛ لذلك عملوا بإسناد المعلومات إلى أصحابها ومصادرها وضمنوها في خطاباتهم المقدماتية. ويظهر هذا من خلال معاملتهم للنصوص أو الاقتباسات التي يستفيدون منها معاملة الأمانة، فينفي المؤلف عن نفسه سِمَة السرقات الفكرية أو الأدبية.

وقد وردت مصادر التأليف في المقدمات كما جاءت في المتون أيضًا؛ عندما يقتبس المؤلف نصًا ما، يضمّن اسم صاحب النص لاحقًا في الهوامش أو الحواشي. ولعل وظيفة مصادر التأليف تكمُن في حماية الكاتب عندما يشير إلى فكرة معينة فلا يحمل تبعاتها ولا عواقبها.

فضلًا عن تزويد المتلقي بالمعلومات حول الموضوع، جعله على دراية بالمصادر التي سبقت الكاتب، وإمكانية الرجوع إليها في حال تطلب الأمر.

ومن باب الدلالة على وجود هذه العتبة في الثقافة العربية قديمًا؛ شهدت العديد من المؤلفات على مكتبة المصادر، ومنها ما ذكره أبو الفضل الميداني في مقدمة كتابه (مجمع الأمثال) عندما أشار إلى المؤلفات التي استقى منها في كتابه وجمعها حين قال: "طالعت في كتب الأئمة

والأعلام، ما امتد في تقصية نفس الأيام، مثل كتاب أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد وأبي عمرو. ونظرت فيما جمعه ابن محمد والمفضل بن سلمة حتى لقد تصفحت أكثر من خمسين كتابًا، ونقلت ما فيها فصلًا"[1]؛ فمما تبين من تحديد الميداني للمؤلفات التي سبقته، معرفة القدامى بفنون التأليف والنصوص الموازية.

7.1 نقد المؤلفات السابقة:

تُعد هذه العتبة لاحقة للعتبة السابقة (مكتبة أو مصادر التأليف). فهي العتبة التي تُمكّن الكاتب من نقد المؤلفات التي سبقته؛ من خلال الإشارة إلى جوانب الكمال والنقص فيها، ويشار إليها في العصر الحديث بالدراسات السابقة.

وتقوم العملية النقدية للمؤلفات السابقة على ضربين: يأتي الأول على شكل الثناء على الكتاب، والمواضيع التي عالجها. وفي المقابل يأتي النوع الثاني وتُذكر فيه النواقص التي وردت في النص، ومظاهر الإسهاب والتقصير.

يظهر الضرب الأول في النقد الخاص بالثناء ومدح المؤلفات السابقة؛ كنقد أبي هلال العسكري في مقدمة كتابه (الصناعتين)، حينما قال: "فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام، فيما راموا من اختيار الكلام، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل، ومكانه من الشرف والنبل، ووجدت الحاجة إليه ماسة، والكتب المصنفة في قليلة، وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وهو لعمري كثير الفوائد، جمع المنافع، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء

---

[1] أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين، مؤسسة الطبع والنشر المعاونية الثقافية، د.ط، إيران، الجزء الأول، 1344 هـ، ص7 – 8.

والبلغاء، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة. وغير ذلك من فنونه المختارة ونعوته المستحسنة"[1]. وقد أوفى أبو هلال العسكري حق الجاحظ، عندما فصّل في مميزات كتابه (البيان والتبيين)، وروّج له – إن جاز التعبير– من خلال عد مزايا مؤلَفه، ونقده نقدًا موضوعيًا لم يأت من فراغ، أو من باب المجاملة.

أما بالنسبة للضرب الثاني من النقد الخاص بالذم؛ حينما نقد ابن جني في كتابه (الخصائص) المؤلفات التي سبقته فقال: "فأما كتاب أصول أبي بكر، فلم يلملم فيه بما نحن عليه إلا حرفًا أو حرفين في أوله.. على أن أبا الحسن قد كان صنف في شيء من المقاييس كتيبًا إذا انت قرنته بكتابنا هذا علمت أنّا نبنا عنه فيه وكفيناه كلفة التعب به"[2]. فمن الجلي أن ابن جني تحدث عن نواقص كتاب أصول أبي بكر، وذكر محاسن كتابه في أنه أعم وأثرى وأشمل.

8.1 زمان التأليف ومكانه:

وهي العتبة المعنية بتوثيق التاريخ الذي كُتب فيه النص، والمكان الذي أُنتج فيه. ولهذه العتبة وظائف جمالية ودلالية كثيرة، تتمثل في إتاحة عمليات المقاربة بالنسبة للقارئ. وذلك حينما يُقرأ النص وتفهم سياقات العصر الذي ظهر فيه، فيربطه المتلقي بالأحداث التاريخية التي عاصرها النص. وكل هذه الروابط الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية والمعرفية تثري النص وتشكله. فيتمكن المتلقي من رصد العلاقات الكامنة بين النص والسياقات التي انتجته.

---

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، د.ط، بيروت، 1419 هـ، ص11.

[2] أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، مصر، الجزء الأول، د.ت، ص2.

ومن هنا يمكن الاستشهاد بالفترة الزمنية التي ظهر فيها فن المقامات على يد بديع الزمان الهمذاني والحريري؛ والمتمثلة في القرن الرابع الهجري وهي فترة تدهور حضاري وثقافي في الثقافة العربية. حينما تفشّت العادات الخارجة عن مكارم الأخلاق التي دعا إليها الدين الإسلامي فنشأ هذا الفن الأدبي ليعكس الواقع التاريخي والاجتماعي.

فقد جاءت المقامات لتناقش الظواهر الاجتماعية التي تجلت في العصر العباسي تحديدًا، فسلّطت الضوء على المجتمع ونقدته نقدًا واعيًا رافضة فيه سمات التسول، والاحتيال والمكر والخداع التي انتشرت آنذاك. وفي هذا السياق قال الإمام الصولي: "تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه ومنه فلان تاريخ قومه في الجود"[1]. فلو لم تُحدد الفترة الزمنية التي كتبت فيها المقامات مثلًا، لما استطعنا أن نربطها باللحظة التاريخية التي برزت فيها.

ولمّا كان الكاتب يبدأ مؤلَفه في منطقة ويختتمه في منطقة أخرى؛ بسبب كثرة التنقل والارتحال. فإنه كان من المهم أن يذكر المؤلف زمان التأليف، ومكانه بحسب اسم البلدة أو المنطقة التي حل فيها أثناء انتاج عمله.

9.1 الدعاء والحمد:

هي النصوص التي ترِد في خاتمة المقدمة ومحصلتها. فقد اعتمد العرب القدامى على حمد الله وشكره والثناء عليه لتيسيره عملية التأليف. فمثلما استهل المؤلف مقدمته بروحانيات إيمانية، يشكر المؤلف ربه ويثني عليه في الخاتمة، ويشكره على كل النعم التي أنعم بها عليه. فيتفرد في أساليب الدعاء ويزينها بصيغ وتراكيب مسجوعة بطريقة جميلة لا لبس فيها.

---

[1] الصولي، أدب الكتاب، ص178.

ومن بين الذين انتهجوا الدعاء في نهاية المقدمة؛ أبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة) قائلًا:" والله الموفق للصواب، وهذا حين سياقة الأبواب"[1]، وهذا يدل على اعتنائه بحسن صياغة الدعاء، شكلًا ومضمونًا.

والمتأمل في الخطاب التاريخي في (مقدمة ابن خلدون) يُدرك إن الكاتب عبد الرحمن بن خلدون واعٍ لمجريات الثقافة العربية والإسلامية. حينما استنطق في مقدمة كتابه المحمولات الثقافية العربية مبينًا رأيه فيها، وفيما تعارض معها "إذا استخدم منواليّ الشرح العام، والتفسير الشامل كي يفهم خارطة جغرافيا الثقافة العربية الإسلامية ويقدر على تفهيمها... ومنهجه الذي بناه على اقتداره على فهم ظاهرة الاجتماع الإنساني والعمران البشري"[2]. ففي بداية مقدمته عرّف بنفسه فيقول "العبد الفقير إلى الله تعالى، الغني بلطفه عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي وفقه الله"[3].

ومن ثم حققّ البسملة والحمدلة والتصلية مبتدئًا بها كتابه "الحمد لله الذي له العزة والجبروت، وبيده الملك والملكوت، وله الأسماء الحسنى والنعوت...، وعلى آله وأصحابه الذين لهم في صحبته واتباعه الأثر البعيد والصيت...وسلم كثيرًا"[4]، ثم عرض لموضوع كتابه، وحدد لغرضه قائلًا :"ولما طالعت كتب القوم، وسبرت غور الأمس واليوم، نبهت عين القريحة من سنة الغفلة والنوم...، فأنشأت في التاريخ كتابًا، رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجابًا، وفصلته في الأخبار

---

[1] أبو منصور عبد الملك الثعالبي، فقه اللغة العربية، تحقيق: جمال طلبة، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2014م، ص65.

[2] فرحات الدريسي، جغرافيا الثقافة العربية الإسلامية، الدار المتوسطية للنشر، ط1، تونس، 2018م، ص238.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، كتاب المقدمة، تحقيق: هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف، ط1، لبنان، 2007م، ص15.

[4] المرجع نفسه.

والاعتبار بابًا، وأبديت في لأولية الدول والعمران عللًا وأسبابًا، وبنيته على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب في هذه الأعصار، وهما العرب والبربر "[1].

ثم قسّم كتابه إلى رُتب فقال "ورتبتّه على مقدمة وثلاثة كتب: المقدمة: في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع بمغالط المؤرخين. والكتاب الأول: في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العلل والأسباب. والكتاب الثاني: في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة إلى هذا العهد...، والكتاب الثالث في أخبار البربر ومن إليهم من زناتة وذكر أوليتهم وأجيالهم ..."[2]، كما كان يعرض موضوع كتابه بشكل عام ثم يخصص في فصوله وأبوابه. فحمل القارئ على فهم أجزاء الكتاب ومكوناته التي سيتضمنه.

ومن هنا يمكن القول أن الدراسات البلاغية العربية فهمت المقدمة وفصلت في عناصرها. وكانت وظائف الديباجة مقاربة للوظيفة التأصيلية والوظيفة التفصيلية. أما الوظيفة التأصيلية فهي التي "يعرب عنها السؤال لماذا ألّف المؤلف هذا الكتاب؟"[3]، بينما الوظيفية التفصيلية فهي "الوظيفة التنظيمية أو التنسيقية أو التفسيرية، وهي التي يعرب عنها السؤال كيف ألّف المؤلف هذا الكتاب؟"[4]؛ وذلك لأن المقدمة تتموضع في بداية الكتاب؛ فتوضح جنس الكتاب، وغرض الكاتب، والدواعي التي دفعته إلى تأليف الكتاب وغيرها من العناصر.

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، كتاب المقدمة، ص17.

[2] المرجع نفسه، ص18.

[3] مصطفى سلوي، عتبات النص: المفهوم – الموقعية – الوظائف، ص26–27.

[4] المرجع نفسه، ص28–29.

أما الوظيفة الثالثة للمقدمة هي الوظيفة التواصلية؛ التي تُحقق العملية بين المرسل/المؤلف والمرسل إليه/المتلقي؛ وعلة ذلك أنها تهيئ جو الإجابة عن السؤال: من هو المتلقي المنشود بالنسبة للكاتب؟ ولمن كُتب هذا المُؤَلّف. بالإضافة إلى ذكر المُبرر الأساس الذي حرّك الكاتب لتأليف كتابه.

وعلى سبيل المثال فإن مستويات التلقي التي توقعها عبد الله بن المقفع في كتابه "كَلِيلَة ودِمنَة"، هي ثلاثة مستويات متباينة: أولها مستوى المتلقي صغير السن الذي يتعامل مع قصص كَلِيلَة ودِمنَة لجانبها التعليمي.

أما المستوى الثاني فهو المتلقي الذي يبحث عن متعته الذاتية في قراءة القصص على ألسنة الحيوان، أما مستوى التلقي الثالث فهو المتلقي الواعي الذي ينظر لمضمون القصص بجانبها التأويلي، ويكشف المضمرات التي استترت تحت جمالية القصص، التي كسرت برمزيتها حدود المألوف. وتُعد هذه الوظيفة وظيفة ثانوية من وظائف المقدمات وتتسم بالقصر، لكونها قاصرة عن الجوانب التفسيرية والتفصيلية كثيرة.

2- المقدمات في الدرس النقدي الحديث(*) :

تميّزت المقدمات في الثقافة العربية بحسن الصياغة الأسلوبية، مستندة على الجماليات البلاغية من سجع وطباق ومحسنات بديعية. كذلك فضّل الكُتّاب الاختصار والإيجاز وانتهاج البلاغة فيما قل ودل فلا يطيلون ولا يبترون في مقدماتهم، شريطة أن تكون ذات علاقة بموضوع الكتاب. ومن ثَم يمكن القول بأن المقدمات في الدرس النقدي الحديث تقاطعت مع الدرس البلاغي.

فالخطاب المقدماتي النقدي الحديث ظهر في القرن العشرين مع ظهور المشروع النقدي العتبات، ولكن كانت له إرهاصات في الساحة العربية البلاغية القديمة كما ذُكر آنفًا، وظلت المقدمة تحمل بعض سمات شاكلتها الأولى عندما عرفت الابتداء والمطالع وبراعة الاستهلال؛ الذي يدل على أن هذه النصوص الافتتاحية في الثقافة العربية تنبهت إلى أن تكون بارعة في ومضاتها التنويرية ومشروطة بها؛ حتى تؤدي وظيفتها في تبصرة المتلقي بما يتضمنه الكتاب.

فقد كان هنالك وعي في دواوين الإنشاء القديمة وفنون الكتابة العربية بهذا الدرس النقدي الحديث – العتبات–، ولكنه كان فنًا وليس علمًا. ولمّا أصبحنا في الدرس الحديث، وجاءت شعرية ج. جينيت ومشروعه العتبات، استفاد أصحاب التأليف في الحضارات الغربية من هذا الدرس وأرادوا أن يطوّروا الدرس الكتابي والنقدي.

إلى جانب أن الدرس النقدي العربي شهد قطيعة مع الثقافة الغربية في البداية، ولكن التفت بعض النقاد المهتمين بدراسة العتبات ومنهم السلوي، الذي استفاد من المرجعية الحديثة لصوغ مكونات المقدمة التراثية.

(*) يتعالق هذا المبحث مع المبحث الخاص بالمقدمات الغربية الحديثة الذي تعرضّت له آنفًا؛ لأن الدرس العربي النقدي الحديث تماشى منهجيًا مع شعرية جيرار جينيت للعتبات، ومن ضمنها عتبة المقدمة. ومن ثم ليس هنالك تعارض بل تطوير للدرس التأليفي العربي القديم.

وبناءً على ما سبق قُسِمت المقدمات في الدراسات العربية إلى ثلاثة أنواع تندرج بحسب الآتي:

1-المقدمات الموسعة:

وهي تلك المقدمات التي تشمل جميع العناصر الرئيسة التي ورد ذكرها في القسم المختص بذكر عناصر المقدمة الرئيسة والثانوية؛ أي أغلب عناصر الديباجة.

2-المقدمات المُضيّقَة:

وهي تلك المقدمات التي تقوم على الإيجاز، فبالتالي لا يُضمِن مؤلِفُها كل العناصر التي ترِد في المقدمات ويكتفي بالعناصر الرئيسة مثل: غرض الكتاب، وموضوعه، وجنس تأليفه.

3-مقدمات مُضافة:

وهي المقدمات التي لم يكتبها المؤلف، وإنما يتولى كتابتها محقق الكتاب، أو "النُساخ (علماء أو طلبة المؤلف)، على اعتبار أن بعض العلماء في القديم كانوا يعقدون مجالسا للإملاء، فلم يسعفهم الوقت أو العمر لجمعها في كتاب، ووضع مقدمة لها، فيتكفل تلامذتهم بذلك بعدهم، وقد انتشرت هذه الظاهرة في الصدر الأول من حركة التأليف"[1]؛ ويراد هنا بأن المقدمات المضافة هي مقدمات غيرية وليست ذاتية، ولكن قد يضفي عليها بعض من محمولاته الثقافية والمرجعيات فتكون كأحكام مسبقة للقارئ قد تؤثر على حرية فكره وقدرته التأويلية عند تلقي النص.

وفي مقدمة رواية (فتاة القيروان) يقول المحقق في مقدمة الطبعة الأولى: "ونحن نزداد تحققًا كل يوم إننا أحسنا في إصدار هذه الروايات لما فيها من اللذة والفائدة. فإنها تشوق إلى

---

[1] عبد الحق بلعابد، خطاب المقدمة في السرد القطري، ص228.

مطالعة تاريخ الإسلام وتشرح أحوال الأعصر والأمم الاجتماعية والأدبية والسياسية وتمثلها تمثيلا لا تتسع له كتب التاريخ، ولاسيما لمن يتوخى التحقيق وضبط الوقائع والمحافظة على الأصل التاريخي مع تطبيقه على حديث الغرام كما نفعل نحن"[1].

ومن هنا يتضح أن محددات المقدمة في الدرس النقدي العربي، اكتست بملامح الديباجة في الدرس البلاغي العربي، فقد "سار كل من البارودي وشوقي على سنة عربية قديمة في تقديم الشعراء لدواوينهم. ولربما كان أبو العلاء المعري من بين أوائل الشعراء العرب القدماء الذين وضعوا تقديمًا، ونذكر هنا تقديمه لكل من (سقط الزند) و(لزوم ما لا يلزم)، وهي السنة التي اتبعها الشعراء الآخرون عبر العصور المتوالية"[2]. فبدأت المؤلفات تُصدّر بمقدمات شارحة لمتن الكتاب، ومعولة على أهميته.

حتى أصبح الخطاب المقدماتي جزءًا أصيلًا في الأعمال الأدبية والمسرحية والفنية وغير ذلك. فمع منتصف القرن التاسع عشر ظهرت روايات عربية "بمقدمات تشرح نظرية الرواية، مثل روايات فرح أنطون (الدين والعلم والمال أو المدن الثلاث)، ومحمود طاهر حقي في رواية (عذراء دنشواي)، وعيسى عبيد في رواية (إحسان هانم)، وجورجي زيدان في رواياته التاريخية، لاسيما روايته (الحجاج بن يوسف)"[3]، وليس في الأدبيات فقط وإنما في الكتب العلمية والأكاديمية التي استوجبت وجود المقدمة التعريفية المتضمنة مضمون الكتاب، والمبينة خطته ومحتواه وفرضياته ومنهجه.

---

[1] جرجي زيدان، فتاة القيروان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، مصر، 2012م، ص11.

[2] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها التقليدية، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، الجزء الأول، 1989م، ص 85.

[3] جميل حمداوي، الخطاب المقدماتي، ص6.

كما أن للمقدمة عدة وظائف تختلف بحسب نوع المقدمة وطبيعتها، ومنها:

1-: وظيفة السؤال (لماذا)[*]:

وهي الوظيفة التي تخبرنا عن السبب الذي كَتب فيه المؤلف هذا الكتاب، وما الهدف الذي سيصل إليه القارئ بعد القراءة. فتكون "كمفتاح إجرائي وتوجيهي لتقييم الكتاب عامة وفهم النص"[1]. وتندرج تحتها العديد من الوظائف التي تُجيب عن سؤالها.

2-وظيفة السؤال (كيف)[*] :

وهي الوظيفة التي تحاول الإجابة عن سؤال (كيف؟)، أي كيف ألّف الكاتب كتابه؟ وماهي المعينات التي ساعدته. فيُضمّن الكاتب في مقدمته مخطط بحثه بالكامل وتقسيمات الفصول، والمباحث التي سترد تباعًا في المتن. ومن البيّن أن هذه الوظيفة مؤهلة لأن تكشف المستور في النصوص والمُضمر بين السطور، وقد يخطها قلم مؤلف النص، وقد يؤديها المحقق، الذي يحاول تفسير النص الذي بين يديه.

---

[*] للاستزادة ينظر: عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص118-120.

[1] المرجع نفسه، ص119.

[*] للاستزادة ينظر: نفسه، ص121-124.

الفصل الثاني :اشتغال خطاب المقدمة في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وتناصاته

المبحث الأول: اشتغال خطاب المقدمة في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وطبعاته

المطلب الأول: اشتغال المقدمات الغيرية

المطلب الثاني: اشتغال المقدمات الذاتية

المبحث الثاني: تناص خطاب المقدمات في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وطبعاته

المطلب الأول: تناص المقدمات الغيرية

المطلب الثاني: تناص المقدمات الذاتية

المطلب الثالث: تناص المقدمات الغيرية بالذاتية

توطئة

نقل ابن المقفع كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) من الثقافة الفارسية إلى العربية، ببراعة أسلوبية صادقة. فقد نقل ماورد إليه إلى اللغة العربية بعدما بعدما تُرجم من الهندية إلى الفارسية؛ لتوافقات كونية تتمثل في العدل، والمساواة، والحب، وغيرها من القيم الكونية التي تتشارك فيها الأمم والشعوب. وعُرف "ابن المقفع بأنه أعظم كاتب يمثل التيار الفارسي في الثقافة العربية الإسلامية، ولولا ما دبجته براعته الساحرة من ترجمات وافية عن حضارة الفرس، وسير ملوكهم وآثارهم الأدبية لما زخر الأدب العربي بهذه التحفة النفسية"[1]. ومن هنا يُشهد لابن المقفع ريادته في تشييد صرح مفهوم الفن القصصي القائم على ألسنة الحيوان. الذي كان يدعو من خلاله لليوتوبيا* أو المدينة الفاضلة من خلال بلاغة المثال أو الألغوريا[*]؛ عندما حاول أن يرسم عالمًا مثاليًا يوازي العالم الواقعي، فأتى له بمثال من عالم الحيوان. فـ "الحيوانات في قصص كَلِيلَة ودِمنَة هي مجرد رموز لا لأنها تتكلم كما يتكلم الناس فحسب بل لأن صفاتها في جوهرها صفات إنسانية لا حيوانية"[2].

وحاول ابن المقفع أن يؤسس في كتابه لعِلم في السياسة، مبنيّ على التسامح، والعدالة والرحمة والسلام. ولمدينة مثالية فاضلة يعمها العدل عوضًا عن الجور الذي عمّ آنذاك. فـ "يجد كل مهتم

---

[1] محمد غفراني، عبد الله بن المقفع، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ط، القاهرة، 1965م، ص37.

[*] أفكار متعالية تتجاوز نطاقَ الوجود المادّيّ للمكان، وتحتوي على أهداف ونوازع العصر غير المحقَّقة، ويكون لها تأثير تحويليّ على النِّظام الاجتماعيّ القائم.

ينظر للموقع: معجم المعاني الجامع: https://tinyurl.com/yyj68m6

[*] تشير الألغوريا" إلى منهج في القراءة والتأويل، وُظّف في سياق النظر في الأساطير. ومفهومه يؤول إلى ازدواجية المعنى في النصوص؛ أي أن المقصود بالقول شيء آخر غير ظاهره". وللاستزادة ينظر للمرجع: فتحي النصري، شعرية الألغوريا، مدخل إلى دراسة الصور السردية في الشعر الحديث، الدار التونسية للكتاب، ط1، تونس، 2015م، ص13-14.

[2] محمد غفراني، عبد الله بن المقفع، ص39.

بالثقافات الإنسانية المختلفة أنها وظفت الحيوانات –أدبيًا– للتعبير بها ومن خلالها عن معتقداتها وأوهامها وهمومها وطموحاتها وآمالها وأحلامها"[1]؛ إذ تجلّت القصص في الكتاب على صيغة سلسلة مترابطة تُجسد قيّمًا وعظية مهمة، وحِكمة ومثالًا؛ بهدف توجيه الحاكم وإرشاد الشعب لخلق مجتمع واعٍ وصالح.

ويوضّح ابن المقفع في مقدمته عالمية كتابه وكونيته بقوله: "هذا كتاب كَلِيلَة ودِمنَة، وهو مما ألفّه علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي التمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول. في النحو الذي أرادوا"[2]. وفي هذا القول يتضح وعي المؤلف بجهود من سبقه في تأليف الكتاب.

وتأسيسًا على الخلفية المعرفية السابقة، خصصت هذا الفصل للكشف عن الخطاب المقدماتي في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وتناصاته؛ "وتنسحب صفة الخطاب المقدماتي على كل نص استهلالي ذاتي أو غيري"[3]. ويجدر الذِكر أن الخطاب المقدماتي في كتاب كَلِيلَة ودِمنَة أخذ شكلًا نثريًا؛ لأن جنس الكتاب نثري. وأفردت المبحث الأول لاشتغال خطاب المقدمة في الكتاب وطبعاته، عبر آليتين تحليليتين:

1- الآلية الأولى: تحليل حديث وضعه جيرار جينيت، وسأوظفه في تحليل المقدمات الغيرية للكتاب، وهم: مقدمة المُحقق عبد الوهاب عزّام وهو باحث متخصص بالتراث، ومقدمة الأديب طه حسين، ومقدمة المُفكر أحمد طالب الإبراهيمي وهو كاتب ودبلوماسي.

---

[1] محمد مفتاح، التلقي والتأويل: مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1994م، ص173.

[2] ابن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص37.

[3] نبيل منصر، النص الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ص61.

2- الآلية الثانية: تحليل تراثي يعتمد على النظام التأليفي القديم للكتب في الثقافة العربية الإسلامية وما أُضيف إليها لاحقًا. وسأوظفه في تحليل المقدمات الذاتية في الكتاب وهم: مقدمة (عرض الكتاب) لعبد الله بن المقفع، ومقدمة (باب توجيه كسرى أنو شروان برزويه إلى الهند)، ومقدمة (باب برزويه الطبيب من كلام بزرجمهر ابن البختكان).

وسأعتمد في التحليل على طبعتين من كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وهما:

1- طبعة دار الشروق اللبنانية، والتي أعادتها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر، وسيكون أغلب اشتغالي عليها؛ لأنها الطبعة المنقحة والمزيدة. وفيها تصدير أحمد طالب الإبراهيمي، وتقديم عبد الوهاب عزّام، والمقدمات الذاتية.

2- طبعة مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة؛ لأنها تتضمن تصدير طه حسين، الذي لم يرد في طبعة دار الشروق والشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

وسأحلل المقدمات في هذا المبحث من خلال ثلاثة عناصر:

أ. العنصر الأول: البنيات الزمانية والمكانية للمقدمات؛ إذ "تُعرف بنية المكان التي يتوزع إليها الخطاب المقدماتي في علاقتها بالزمن الثقافي القادم، تحولات مكانية ينتج عنها تحوّل في الوضع الاعتباري للجنس الخطابي المقدماتي الذي تتصل به، وبنية المكان لا تنفصل عن بنية الزمان المتحكمة في لحظات ظهور الخطب المقدماتي"[1]. وستتداخل البنيات الزمانية والمكانية مع وظيفة الزمان والمكان وتأليفه في المقدمات الذاتية.

---

[1] نبيل منصر، النص الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ص66.

ب. العنصر الثاني: وظائف المقدمة، مع العلم بأن وظائف المقدمة "تختلف بحسب نظام أجناسه الخطابية، وبحسب اعتبارات تتعلق ببنية الزمان والمكان"[1]؛ أي أن هنالك مقدمات تضمنت جميع الوظائف، وهنالك مقدمات تخلت عن بعض هذه الوظائف.

ج. العنصر الثالث: هو عنصر خاص بالإجابة عن السؤال المركزي الذي يرتبط بفهم العلاقة بين المقدمات ومتن الكتاب، انطلاقًا من حيثية أن المتن شارح للمقدمة، والمقدمة مُكثفة له.

وخصصت المبحث الثاني لتناص خطاب المقدمات في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وطبعاته، من خلال الكشف عن تناص المقدمات الغيرية، والمقدمات الذاتية، وتناص المقدمات الغيرية بالذاتية بوصفها موضوع العتبات. وسأستعين بشعرية جيرار جينيت فيما يخص التناص؛ إذ جُعل التناص عنصرًا من عناصر المتعاليات النصية، وهو النمط الخامس في كتابه (أطراس)؛ فقد "قام بمراجعة شاملة لمفهوم التناص اعتمادًا على تصور جديد للشعرية، بمفهوم المتعاليات النصية الذي يتجاوز جامع النص إلى كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو ضمنية مع نصوص أخرى، واعتبره بمثابة حضور متزامن بين نصين أو عدة نصوص"[2]، ولذلك سأعتمد على آليته في البحث.

---

[1] المرجع السابق، ص68.

[2] عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، أفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2007م. ص21.

المطلب الأول: اشتغال المقدمات الغيرية في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة):

عرّضت سابقًا لتعريف المقدمة الغيرية، والتي تُعرف بأنها "تلك المقدمة التي لم يكتبها المؤلف لعمله الإبداعي، وتكون إما تعريفية بالعمل، وإما تحليلية نقدية له، وإما تأسيسية لنوع جديد من الكتابة الأدبية"[1]، إذًا فالمقدمات الغيرية هي تلك المقدمات التي لم يُنظِمُها مؤلف العمل.

1-المقدمة الغيرية، الأصلية لعبد الوهاب عزّام ،1941م.[2]

كتبها عبد الوهاب محمد حسن عزّام؛ أحد المتخصصين في التراث. حققّ العديد من الكتب ومنها كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)؛ وهي مقدمة تحليلية. جاءت في أكثر من عشرين صفحة، حتى تُخرج للقارئ النص مُحققًا، كما نقله ابن المقفع أول مرة، خاصة أن مدونة (كَلِيلَة ودِمنَة) تعد من أول ما كُتب في النثر بعد الشعر.

أ. البنيات الزمانية والمكانية:

قسّم عبد الوهاب عزّام تأريخ الكتاب إلى قسمين أساسيين؛ عالج القسم الأول (طبعات الكتاب وأصولها)، واهتم في القسم الثاني بـ (أصول الكتاب وتراجمه وأبوابه)؛ عبر التفصيل في طبعاته. ابتدأ بطبعة (دي ساسي) (Sylvester de Sacy) وهي أولى طبعات الكتاب فيقول: "طُبع الكتاب لأول مرة في باريس سنة 1816م، طبعة المستشرق سلفستر دي ساسي"[3]، وقدّم نقدًا للنسخة بأنها غير مكتملة؛ لأنّ بها مواضع بحاجة إلى التنقيح، "وفيها مواضع ذهب بها البلى،

---

[1] مصطفى سلوي، عتبات النص، المفهوم والموقعية والوظائف، ص 71.

(2) عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، بيروت، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م.

[3] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص10.

وكلمات مُحيَت فوُضِعت موضعها أخرى"[1] وعليه فإن هذه النسخة "لا تصلح للنقد والمقايسة.. وهي أقرب النصوص إلى النسخة السيريانية القديمة"[2].

ومن ثم وقف على الطبعات المصرية المكررة لطبعة (دي ساسي) التي سبقتها، ولكن الباحث أشاد بها؛ لأن مُصحح تلك الطبعات نددّ بصحتها بقوله: "يصح ألا يوجد لها في الصحة مثال لشهرة مصححها بالضبط وسعة الاطلاع على الأقوال...، فوجِدّت المطبوعة أفصحها عبارة، وأوضحها إشارة، وأصحّها معنى، وأحكمها مبنى"[3]. وعلى غرار هذا التقريظ وضّح المصحح جوانب قصور النسخ قائلًا "غير أن فيها لفيظات حادت على سنن العربية، وبعض معان مالت بها الركاكة عن أن تفهم بطريقة مرضية..."[4].

ومن ثم قارب عزّام طبعة (دي ساسي) والنُسخ المصرية ومنها: (طبعة أحمد طبارة)، التي صححها مصطفى المنفلوطي و(طبعة اليازجي). كما هو شأن الطبعات الشامية؛ إذ استندت إلى ما سبقها من طبعات. كما استشهد الباحث في مقدمته بما ذكره الشيخ خليل اليازجي صاحب الطبعة.

واسترسل عزّام في التأريخ لطبعات كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) فعرض طبعة (شيخو)، التي رأى أن "في أسلوبها شبهًا بما يعرف من أسلوب ابن المقفع، وأنها أقرب النسخ إلى الأصل الهندي"[5]،

---

[1] المصدر السابق.

[2] نفسه، ص10-11

[3] نفسه، ص11.

[4] نفسه.

[5] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص12.

ولكن الباحث أوضح مواطن استدراك شيخو لما ورد في الطبعة الأصلية بعلامة الترقيم هذه ()*، وجاءت علامة استدراك عزّام بإشارتين مختلفتين[ ] فيقول "هذا مثال من نسخة شيخو يبين تحريفها، ويُرى استدراك الأب شيخو بين هاتين العلامتين ( ) واستدراكنا بين العلامتين الأخريين [ ] "[1].

وبعدما كشف عزّام النسخ التي سبقته، عرض نسخته مبينًا مميزاتها، والمبررات التي أهلّتها حتى تكون من أشمل النسخ وأوفاها. ولعله بهذا أراد توثيق ما كابده من مشقة في مراحل التأريخ للطبعات وتتبع مصادرها "فلم يكن عجيبًا أن يطول البحث والعناء ليطبع الكتاب طبعة أخرى، وكان من سوء الاتفاق أن هذه الحرب الماحقة شبّت ونحن نتأهب لنشر هذا الكتاب، فلم يتيسر لنا تحصيل المخطوطات التي أردناها"[2].

وتجلت البنية المكانية في أماكن الطبعات التي وجدها، ومنها أقدم طبعة وجدها في مكتبة أيا صوفية بإسطنبول، فيصفها بأنها: "أقدم نسخة مخطوطة مؤرخة لكتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)، اجتمعت فيها مزايا ظننا معها أنها جديرة بالنشر"[3]. ويتبين أن مقدمة عزّام هي أُولى المقدمات التي بحثت في طبعات الكتاب. ولما كانت مقدمة عزّام مقدمة أصلية في طبعة الكتاب الأولى، فإنه لم يغفل عن ذكر بعض الطبعات التي سبقته لناشرين مستشرقين. فيتضح أنه اعتمد على بنية زمانية ومكانية موسعة فهو لم يكتف بمقدمته وحسب؛ وإنما يحيل إلى تاريخ هذه الطبعات التي استفاد منها وسياقاتها.

(*) يلاحظ أن الأقواس الموجودة في متن الاقتباس هي من صنيعة الكاتب. وهذا كل ما ورد من إشارات أو علامات ترقيمية؛ ليشرح ما استدركه شيخو في نسخته، وما فعله هو – عزّام – في مقدمته.

(1) عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص12.

(2) المصدر نفسه، ص13.

(3) نفسه.

ب. وظائف المقدمة الغيرية لعبد الوهاب عزّام:

1- وظائف السؤال (لماذا)

1.1 وظيفة الأهمية:

أظهر عزّام في بداية مقدمته التوجيهية أهمية الكتاب، التي تتمثل في تاريخانيته؛ فكتاب كليلة ودمنة من أوائل الكتب النثرية. كما أن له أهمية فنية؛ برزت في كونه من الكتب التي على الكُتّاب قراءتها والحذو حذوها في الكتابة؛ وذلك لوعظ الملوك والشعب وإرساء أنظمة سياسية عادلة تكفل حق الحاكم والشعب.

كما ذكر الباحث مسوغات اعتناء الطبعات بكتاب كَلِيلَة ودِمنَة فهو "كتاب تكرر طبعه في الشرق والغرب"[1]، وهنا صرّح عزّام بأهمية الكتاب ومواطن قوّته. ثم ذكر دوافع الأمم في التأريخ للكتاب، والاعتناء به ونقده. وتحديدًا عندما رصد المُقدِم في مقدمته رحلات الترجمة التي مرّ بها الكتاب عبر مختلف الثقافات، مبينًا حداثة طبعته وتناسبها مع قِدم الكتاب.

كذلك فرز عزّام النسخ الأصلية من المحرفة، ودرس مواطن التحريف، ثم فسّر أسبابه. وعقد مقارنة بين النسخ المختلفة في اللغات والتراجم. ومن ثم حدد النسخ الأصح من خلال استشهاده بأمثلة نقدية وموضوعية. ومنها أن النسخة العربية هي الأصل لكل ما تلاها من ترجمات، وذلك بعدما فُقد الكتاب الأصلي المكتوب. وهذا دليل على أن مقدمة (عرض لكتاب) لابن المقفع هي مقدمة أصلية للكتاب بعدما فُقد الأصل.

---

[1] المصدر السابق، ص9.

ويُضاف إلى ذلك أن أهمية الكتاب تظهر في كشفه عن العلاقات المتصلة بين اللغة العربية واللغة الفارسية، التي أنتجتها حركات الترجمة التي شهدتها الساحة الأدبية آنذاك؛ وذلك بسبب أن "الترجمة من أقوى الوسائل لتأثير أدب في آخر"[1]؛ إلى جانب أن الكتاب نُقل من الفارسية إلى العربية. فقد برزت ملامح التداخل بين اللغتين عبر الأساليب اللغوية، والثقافية، والفكرية في الكتاب؛ لأن الترجمة هي آلية من آليات التناص "فدراسة هذا الكتاب تُبين صلة ما بين الفارسية والعربية في القرن الثاني"[2].

ولتعدد النسخ واختلاف مضامينها، حدث إشكال كبير في معرفة الكتاب الأصلي من المحرف. "ويعظم الخلاف بين بعضها بالزيادة والنقص في بعض الأبواب...، وبالإطناب والإيجاز واختلاف الألفاظ في الموضع الواحد"[3]، فتنبّه المحقق إلى اختلاف النسخ، مما دعاه إلى الاعتناء بالكتاب وتأريخه وتحري الدقة في معلوماته.

2.1 وظيفة الحداثة والقدامة:

أظهر عزّام أن (كَلِيلَة ودِمنَة) يعد من أول مدونات التراث النثري العربي؛ ولذلك يستحق العناية به وبتاريخه؛ لأنه "كُتب باللغة العربية في منتصف القرن الثاني من الهجرة، فهو من أقدم ما بين أيدينا من كتب النثر العربي"[4]، مستدلًا بذلك أن لغته سليمة، وبأسلوب "من أقدم أساليب الإنشاء

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص9.

[2] المصدر نفسه.

[3] نفسه.

[4] نفسه، ص10.

في لغتنا"[1]؛ لذلك يعد وثيقةً تاريخيةً أدبيةً ومن هذا البيان اتضحت وظيفة الحداثة والقدامة في مقدمة عزّام عندما أشار إلى تاريخ ظهور الكتاب.

3.1 وظيفة وحدة العمل:

برزت وحدة عمل المقدمة من خلال تناغم مواضيع الأبواب والمقدمات بصورة متداخلة ومتعالقة مع موضوع كتاب الذي يقوم على الأمثال والوعظ والحكم التي قيلت على ألسنة الطير والحيوان ومنها (باب الأسد والثور، باب الحمامة المطوقة، باب البوم والغربان، إلى آخره). فلم تخالف مقدمة عبد الوهاب عزّام مضمون الكتاب بل عززته وفصلّت فيه الشرح.

4.1 وظيفة الصدقية:

في سبيل تحري مظاهر الاختلاف وبيان النسخة الأصلية من المحرفة استعان عزّام بجهود أساتذة اهتموا بكتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وتتبعوا مراحل ظهوره ومنهم هرتيل (Johannes Hertel) وبرستيد (James H. Brestead)، وسبرنجلين (Sprengling). وفي بيان الاستشهاد بأهمية ما قدمه هؤلاء الأساتذة استشهد عزّام بمؤلفاتهم ودراساتهم التي دارت حول الكتاب؛ ليضمن القارئ مصداقية ما جاء به المؤلف. وهذه الإشادة هي إحدى مكونات المقدمة؛ أي عندما يدّعم المؤلف مقدمته بمصادر مزودة لآرائه من ذوي الاختصاص. فتظهر المقدمة بصورة موضوعية غير ذاتية، ولا سيما أن عزّام قدّم تأريخًا لكتاب(كَلِيلَة ودِمنَة)، ونقدًا فتحققت وظيفة المصداقية.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص10.

5.1 الوظيفة التقييمية:

حضرت وظيفة القيمة الأدبية، والتقييم العلمي بتحليل الكتاب تحقيقًا وتدقيقًا، حينما تساءل الباحث عن الجديد الذي يقدمه الكتاب حتى "تُنفق على نشره هذه الأموال الكثيرة"[1] وعن مسوغات العناية به، فيقول "ليس في لغات العالم ذات الآداب لغة إلا ترجم هذا الكتاب إليها، وبحق عُنيت الأمم بهذا الكتاب العجيب الذي يحوي من الحكم والآداب وضروب السياسة وأفانين القصص ما يملأ القارئ عبرة وإعجابًا وسرورًا"[2].

كما قيّم الباحث طبعات الكتاب فيقول: " ليس في طبعات الكتاب التي ظهرت في أوروبا والبلاد العربية وبلاد الشرق الإسلامي طبعة واحدة جديرة بثقة القارئ الناقد، صالحة أن يعتمد عليها مؤرخ لهذا الكتاب أو مؤرخ للأدب العربي"[3]، فيثبت بذلك الجهد الكبير الذي عمل عليه بمقابلة كافة النسخ وتحليلها، والتحقق من صحة نسبها للكاتب والبحث في توثيق أصولها، وهذا كله مرتبط بالوظيفة التقييمية والتحليلية النقدية.

- ومن ثم استرسل الباحث في توجيه نقده للنسخة:

  - بيّن مواضع قصور الطبعة أن بها كلمات غير فصيحة، فصوبّها عزّام بين قوسين [ ]، ومنها (ألسنت فصيحة) وعدّلها عزّام إلى [ألسنة فصيحة]، و(لقد أورتني الحرص والشدة)، [لقد أورطني الحرص والشدة]، وغيرها من الأخطاء، وعلل الغاية في ظهورها "أن الكاتب

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر نفسه.

[3] نفسه.

يستملي فيسيء السمع أو يخطئ الرسم"[1]؛ وذلك لأن الأخطاء قريبة لكي تكون أخطاء سمعية.

- ثم يمضي عزّام لإظهار مزايا هذه النسخة وسبب الاعتماد عليها:

- أن جملها طويلة تشبه أسلوب ابن المقفع في الكتابة.

- أن النسخة تحتوي على أثر فارسي، مستشهدًا ببعض الأمثلة التي دعمت رأيه ومنها" جملة: (حمله النوم) ترجمه لفظية للجملة الفارسية (خواب أورا برد)"[2]. ومن الملاحظ أن عزّام يدعم أرآءه مما يدل على عمله الجاد في التأريخ لهذه الطبعة بصورة منهجية وموضوعية.

- أن النسخة احتوت على "كلمات صحيحة غير شائعة"[3]، حينما بُدلّت في بقية النسخ إلى كلمات أخرى مألوفة. "(وكانت حاملًا فأصابها بطن)، وغيرت في النسخ الأخرى إلى (وجع البطن)"[4].

- أن النسخة حرصت على "ذكر أسماء المدن والأشخاص ولم تذكر في النسخ الأخرى ومنها (أزرهربد، أزويه، أرض مردات، واسم الأسد بنكلة)"[5].

- أن النصوص في الطبعة قريبة إلى "النصوص التي تلفي في كتب قديمة مثل كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، مثال على ذلك ما جاء في عيون الأخبار" (وإنما تشبه

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص10.

[2] المصدر نفسه، ص16.

[3] نفسه، ص17.

[4] المصدر نفسه.

[5] نفسه.

بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع...)، نسختنا: (وإنما شبه العلماء السلطان بالجبل الوعر الذي فيه الثمار الطيبة...)"[1] ثم عرض الباحث مكامن الاختلاف بين نسخته وبقية النسخ عبر نماذج دعمت موقفه.

2- وظائف السؤال (كيف):

1.2 الوظيفة التكوينية:

وهي الوظيفة التي تبحث عن الكيفية التي تم بها جمع الكتاب، وتنظيمه وتبويبه، وطرق قراءته؛ بهدف الوصول إلى القراءة الحسنة التي قصدها الكاتب عندما ألّف كتابه أو مقدمته "فسؤال الكيفية هو من بين الموجهات المنظمة لقراءتنا أولًا وأخيرًا"[2].

فقد فصّل عزّام في أبواب الكتاب، ولعله بذلك أراد أن يصنع دليلًا للقارئ حتى يعي موضوعات الكتاب وخطة تأليفه. وهذه إحدى وظائف المقدمة المهمة؛ إذ ذكر أن كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) يقع ضمن مدونات التراث العربي النثرية، فالكتاب يندرج تحت المدونات النثرية التي برزت في الثقافة العربية في منتصف القرن الثاني من الهجرة.

ومن ثم فرّع مقدمات الكتاب إلى أربع مقدمات وهي: مقدمة علي بن الشاه الفارسي، ثم مقدمة عرض الكتاب لابن المقفع، فمقدمة بعثه برزويه إلى بلاد الهند، وأخيرًا مقدمة باب برزويه الطبيب.

أما الأبواب فقد قسمّها بحسب أصول الكتاب، بدءًا بالأصل الهندي وهي أبواب الكتاب الأَصلي الهندي (بنج تنترا)، والذي جاء بعد باب (الفحص عن أمر دمنة): وهي باب (الأسد

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص18.

[2] المصدر نفسه، ص10.

والثور)، وباب (البوم والغربان)، وباب (القرد والغليم)، وباب (الناسك وابن عرس). بعد ذلك أبواب كتاب (المهابهارتا)، وتلت الأبواب الخمسة الأوّل في الأصل الهندي: (باب الجرذ والسنور)، وباب (الملك والطائر)، وباب (الأسد وابن آوى).

وعقبتها الأبواب التي اتفقت عليها النسخ، وهي: باب (إبلاد وإيراخت وشادرم ملك الهند)، وباب (اللبوة والأسوار)، وباب (الناسك والضيف)، وباب (ابن الملك وأصحابه). وأخيرًا عددّ عزّام الأبواب التي ظهرت في بعض النسخ واختفت في بعضها وهي: باب (ملك الجرذان)، وباب (مالك الحزين والبطة)، وباب (الحمامة والثعلب ومالك الحزين). وأخيرًا شرح الباحث في مقدمته أبواب الكتاب بطريقة تفصيلية تفيد القارئ وتعينه على فهم موضوعات الكتاب.

وحصر طبعات الكتاب بصورة منطقية موضوعية، بتتبعه جميع النسخ، منطلقًا من فرضية "ليس في طبعات الكتاب التي ظهرت في أوروبا والبلاد العربية وبلاد الشرق الإسلامي طبعة واحدة جديرة بثقة القارئ الناقد، صالحة أن يعتمد عليها مؤرخ لهذا الكتاب أو مؤرخ للأدب العربي"[1]، فيبرهن على فرضيته بذكر كل النسخ تباعًا لينقدها مبينًا جوانب القصور فيها، ومقيّمًا عمله على أساس أنه عمل شامل لبقية النسخ.

وأورد في القسم الثاني من المقدمة أصول الكتاب وأبوابه، ورحلة ترجمته من الهندية إلى الفارسية ثم نقله إلى العربية على يد عبد الله بن المقفع. أما أصل الكتاب فهو "بلاد الشرق مهد القصص والأمثال المضروبة على ألسن الحيوان"[2]، وما ظهر من تلك البلاد كتاب (بنج تنترا) وله خمسة أبواب.

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر نفسه، ص22.

ثانيًا: كتاب (هتو بادشا) "أي نصيحة الصديق"[1]، وتلاه بذِكر رحلة انتقال الكتاب من الهندية إلى الفارسية الفهلوية "في عهد أنوشروان، نقله بعض أطباء الفرس الذين ساحوا في بلاد الهند وعرفوا اللغة الهندية"[2]. بيانًا بالطريقة التي وصل بها الكتاب إلى بلاد فارس. وفصّل عزّام المسار الذي وصل به الكتاب إلى برزويه وما حضر في هذا الباب تحديدًا كوثيقة تاريخية لعملية نقل الكتاب.

وتساءل عزّام (هل الكتاب ترجم إلى العربية مرات عديدة؟) وفي سبيل الإجابة عن هذا السؤال؛ رصد حركات الترجمة وأسماء المترجمين جميعًا مع مخطط تفصيلي لحركات ترجمة الكتاب. ويتساءل "هل يُفسّر اختلاف النسخ باختلاف الترجمة؟" حتى توصّل إلى أن الاختلاف "ليس اختلاف ترجمة، إلا في زيادة بعض الأبواب ونقصها"[3].

كما قيّم الباحث مقدمته فيقول "هذه خلاصة ما هدى إليه البحث في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)، وعسى أن تكون هذه المقدمة وهذه الطبعة خطوتين سديدتين لم يظفر بهما تاريخ الكتاب في اللغة العربية من قبل"[4]. ومن هنا تظهر أهمية طبعة الكتاب وقيمتها الأدبية والمعرفية.

2.2 وظيفة الجمهور المستهدف:

ذكر عزّام أن الكتاب مُوجّه إلى قراء العربية، من خلال "عناية الأدباء والباحثين ما يكافئ قيمتهما ويجازي ما بذل من اجتهاد ودأب، وما احتمل من نفقة وعناء لإخراج الكتاب في صورة

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص22.

[2] المصدر نفسه، ص23.

[3] نفسه، ص24.

[4] نفسه، ص32.

تفخر بها الطباعة في الأقطار العربية"[1] وهي وظيفة مهمة، أعانت قارئ الكتاب على معرفة هل هو معني بهذا الكتاب أم لا، سواء كان قارئًا ضمنيًا أم قصديًا.

3.2 وظيفة التعليق على العنوان:

علّق المحقق على عنوان الكتاب في أصله الهندي (بنج تنترا)، فيقول هو "كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) مما وضعته علماء الهند على لسان الطير والوحش وغير ذلك في الحكم والأمثال وتحت العنوان يثق بالكافي محمد بن الحجافي"[2]، فبعدما بدأت النسخة بذكر العنوان شرع المؤلف بذكر عناصر الديباجة من بسملة وحمدلة وتصلية، فبدأ مقدمته بالحمدلة والدعاء، وفي هذا بيان أن مقدمته قامت على ملامح الديباجة. ومن الواضح تناغم العنوان مع ما ورد في نسخة ابن المقفع العربية، ومضمون الكتاب. وبذلك تجلّت وظيفة شرح عنوان الكتاب بالتفصيل.

4.2 وظيفة التأشير السياقي:

وهي الوظيفة التي تشرح السياق* الذي يتحرك فيه موضوع الكتاب. وقد وُضعت هذه الوظيفة؛ لأنه من العسير فَهم الكتاب من دون الدراية بسياقاته. ومن هذا المنطلق أشارت مقدمة عزّام إلى سياقات الكتاب السياسية، تلك التي حملت المؤلف على توعية الحكام ووعظهم

---

(1) عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص32.

(2) المصدر نفسه، ص13.

* يقصد بالسياق، المناسبة التي كُتب من أجلها النص، أو الظروف التي نتج فيها. ترجمة الباحث.

للاستزادة، ينظر:

- Baldic, Chris, (1996). Concise Dictionary Of Literary Terms, New York, Oxford University Press. P (50).
- Dikj, T. A. (1977). Text and context. United states of America. Longman group.

في تدابير سياسات الدولة، ويدلهم على الحكم الراشد، عن طريق قصص رمزية ذُكرت على ألسنة الحيوان؛ إذ أن كتاب كَلِيلَة ودِمنَة "حكمة في شكل خُرافة ينطوي على حكايات وأقاصيص على ألسنة الطير والبهائم التي تمثل الحياة البشرية"[1].

5.2 الوظيفة القصدية:

وهي الوظيفة التي تُصرّح بغرض الكاتب وقصده، فتشّرع للقارئ حقه في تقديم انطباع أولي قبل قراءة النص. وقد ظهرت هذه الوظيفة في تقديم عزّام عندما أدلى بمظاهر الإعجاب والاستحسان التي سيشعر بها القارئ بعد قراءة الكتاب، بقوله: "عُنيت الأمم الكتاب العجيب الذي يحوي من الحكم والآداب وضروب السياسة وأفانين القصص ما يملأ القارئ عبرة وإعجابًا وسرورًا"[2] وفي هذه الإشارات التي قدمها المُقدِم ومضات تحفيزية للقراء، وهي أحد أدوار المؤلف الغيري. كما تتقاطع مع مقصدية كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) التي تتجسد في "تهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك، وإذاعة الآداب الراقية، فهي حكاية ذات مغزى خُلقي وتعليمي"[3].

---

[1] إدريس كريم محمد، الوحدات السردية في حكايات كَلِيلَة ودِمنَة – دراسة بنيوية، الطبعة الأولى، الأردن، 2009م، ص33.

[2] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص9.

[3] خالد ناصري، القصدية في كتاب كَلِيلَة ودِمنَة، دراسة تأويلية، رسالة ماجستير، بإشراف جمال مجناح، جامعة محمد بوضياف، المسلية، الجزائر، 2016م، ص9.

6.2 وظيفة أجناسية:

وتُعد هذه الوظيفة "من وظائف المقدمة الموضوعاتية والشكلية التي تقوم بتعريف أولي بجنس العمل ككل"[1]؛ أي هي الوظيفة التي تحدد أين يمكن تصنيف الكتاب. فتهدي القارئ إلى الكيفية المُثلى التي يتعامل بها مع الكتاب. وقد ذكر عزّام أن كَلِيلَة ودِمنَة يعد من ضمن مدونات التراث العربي النثرية، فالكتاب يندرج تحت المدونات النثرية التي برزت في الثقافة العربية في منتصف القرن الثاني من الهجرة.

من خلال ما تقدّم يظهر أن عبد الوهاب عزّام قد استوفى وظائف المقدمة كما حددها ج. جينيت. فتميّزت مقدمته بتضمنها للجوانب الإرشادية والتنويرية للكتاب، ووفرت له خدمة جليلة. وذلك عندما أرّخ الباحث للكتاب بمنهجية نقدية واعية، امتزجت بنماذج من النسخ التي استند إليها.

ج. علاقة المقدمة بالمتن:

اقترنت مقدمة عبد الوهاب بمتن الكتاب وموضوعاته وكثفت متنه. فشرحت المقدمات الذاتية ومتنه وخاتمته، وفصلّت في أبواب الكتاب تبعًا لأصله.

1- موضوع الكتاب:

يبرهن الباحث أن الكتاب "يحوي من الحكم والآداب وضروب السياسة وأفانين القصص ما يملأ القارئ عبرة وإعجابًا وسرورًا"[2] وهذا غرض كتاب كَلِيلَة ودِمنَة كما بينه ابن المقفع بقوله:

---

[1] عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص 232.

[2] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص9.

" هذا كتاب كَلِيلَة ودِمنَة وهو مما وضعته علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي التمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول في النحو الذي أرادوا"[1].

2- تعدد لغات الكتاب وترجمته:

يورد المحقق تعدد لغات الكتاب وعالميته وترجمته بقوله: "حرصت كل أمة أن تنقله إلى لغتها، فليس في لغات العالم ذات الآداب لغة إلا تُرجم هذا الكتاب إليها"[2].

2-المقدمة الغيرية النقدية اللاحقة، لطه حسين[*] أبريل 1941م[3] :

ورد العنوان في الكتاب بالصيغة الآتية (تصدير طه حسين)، وهي مقدمة نقدية أدبية لاحقة لمقدمة عبد الوهاب عزّام السابقة، ولكن مفهوم التصدير هنا يخالف تعريف جيرار جينيت. فالذين كتبوا المقدمات، ودار النشر لم يكن لهم وعي بالتطورات النقدية الحديثة، خاصة ما جَد في دراسة مداخل النصوص، والتي عُرفت بالعتبات في ثمانينات القرن الماضي على يدي ج. جينيت. فكانت تلك المؤسسات تكتب تصديرًا وهي لا تعي بأن الدراسات النقدية المعاصرة تصنفها ضمن المقدمات؛ إلا أنني يمكن أن أحتج لها – في حد علمي وتقديري – بأن التصدير يُعد من بين التسميات القديمة لخطبة الكتاب والديباجة وصدر الكتاب.

---

[1] المصدر السابق، ص13.

[2] المصدر نفسه.

[*] كل ما يأتي في هذا المطلب يُحيل على تصدير طه حسين من منشورات مؤسسة الهنداوي.

[3] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق: عبد الوهاب عزّام، وتصدير: طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، مصر، 2014م.

أ. البنيات الزمانية والمكانية:

ربط الناقد طه حسين بين الموقف التاريخي للفترة الزمنية التي ظهرت فيها الطبعة، والفترة الزمنية التي أُلف فيها كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)، وذكر السبب الذي ساقهم لإنتاج الطبعة، يقول: "يحمد الناس لمطبعة المعارف ومكتبتها هذه المتعة القديمة الجديدة، التي مضت عليها القرون وستمضي عليها القرون...، وهذا هو التعاون المنتج بين قديمنا العربي القيّم ونشاطنا العصري الخصب"[1]؛ بغية تنبيه المتلقي بالظروف التي ظهرت فيها الطبعة.

ويضيف "في هذه الأيام لا يلتقي الناس إلا تحدّث بعضهم إلى بعض عن آلام الحرب وآثامها... في هذه الأيام التي يحاول الناس فيها أحيانًا أن يفرّوا من أنفسهم، وأن يفزعوا إلى القراءة لعلهم يجدون فيها راحة من أنباء الحرب"[2]؛ إذ زامنت هذه الطبعة أيام الحروب التي مزقت الوطن العربي، قُبيل حركات الاستقلال التي شهدتها الساحة العربية، حيثما ظهر في فترة طغى فيها الحكم الاستبدادي والقمعي. فجاء الكتاب مناديًا بسمات الحاكم العادل، الهيّن اللين مع شعبه ورعيته.

ب. وظائف المقدمة الغيرية لطه حسين:

1- وظائف السؤال (لماذا)

1.1 وظيفة الأهمية:

قدّم طه حسين لكتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) في أربع صفحات، مبينًا فيها أهمية الطبعة، ومسوغات اقتنائها. بقوله: "يجدون لذة لأبصارهم، ولا يكادون يقرأون فيها حتى يجدوا هذه اللذة الفنية الممتازة النقية التي تخرجهم من هذه البيئة الثقيلة البغيضة، فهي مَنفذ يخلصون منه بين حين وحين، إلى

---

[1] المصدر السابق، ص8-9.

[2] المصدر نفسه.

جو نقي طاهر "[1]. فتجلّت الأهمية الفنية لهذه الطبعة والتاريخية، في إعادة إحياء التراث في وقت غطته سحابة من البؤس، حينما سلبت الحروب دواعي البهجة والسعادة فغدت الحياة حزينة، وموحشة.

2.1 وظيفة الحداثة والقدامة:

وهي الوظيفة التي تسأل " لماذا هذه المقدمة الجديدة أو الحديثة لموضوع قديم مثلًا؟"[2] فتحققت هذه الوظيفة في مقدمة طه حسين عندما ركز على دور ابن المقفع في نقل الكتاب إلى الثقافة العربية الإسلامية، وفي أوج حركتها العلمية والترجمية. وهنا يظهر التداخل بين القديم والحديث في إحياء القديم من خلال إعادة جمعه ونقله بصورة تتناسب وحداثة العصر ومتطلباته. فدُعمت الطبعة برسوم حداثية، تحكي أحداث القصص بصورة مشوقة.

3.1 وظيفة وحدة العمل:

بالنظر إلى تقديم طه حسين يتضح أنه جاء كوحدة عمل متناسقة؛ مما خولّه أن يكون عملًا منسجمًا ومتماسكًا من ناحية، ومتعالقًا مع مضمون الكتاب وموضوعاته من ناحية أخرى، فلم يخرج عن غرضه ولم يشتت القارئ، وهذا يظهر جليا من بداية التقديم إلى نهايته. فيبدأ تقديمه بقوله: "هذه طرفة قيّمة تهديها مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر إلى قُراء العربية"[3]، ويختمه بقوله: "وأظن إني لا أتجاوز إرادة القراء إذا أهديت إلى مطبعة المعارف ومكتبتها وإلى الدكتور عبد الوهاب

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق: عبد الوهاب عزّام، وتصدير: طه حسين، مؤسسة الهنداوي، ص8.

[2] عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص 231.

[3] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق: عبد الوهاب عزّام، وتصدير: طه حسين، مؤسسة هنداوي، ص8.

عزّام تحية ملؤها التقدير والإعجاب والأمل"[1]، وهذا دليل على التماسك والترابط والوحدة الموضوعية في تقديمه.

4.1 وظيفة الصدقية:

لمّا كانت المقدمة هي المساحة التي يتخلّق فيها أفق توقعات القارئ، أتت هذه الوظيفة؛ لكي تتحرى مصداقية كاتبها في توثيق موضوعاته؛ وذلك حتى لا يفقد ثقة جمهوره. ولم يخف طه حسين استفادة طبعته من الطبعات التي سبقتها مثل طبعة (شيخو)، فيقول "وأخذنا نضيف إليها ما عندنا كما أضاف إليها الذين سبقونا ما كان عندهم، فالجهد القيّم الذي بذله الأب شيخو.... وزميلي عبد الوهاب عزّام يضيف إليه جهدًا جديدًا قيمًا...، وهو المُنتَج بين علمائنا الشرقيين المحتفظين بشخصيتهم، وبين علماء الغرب الذين برزوا فيما حاولوا من البحث العلمي "[2]. ويلفت هذا التصريح إلى أن مقدمة عزّام هي مقدمة غيرية أصلية سابقة، ومقدمة طه حسين هي مقدمة غيرية لاحقة. ومن هنا تتضح مصداقية المُقدِّم في إبانته اجتهاد من سبقوه في جمع الكتاب، ونسخه، والاعتناء به.

5.1 الوظيفة التقييمية:

قيّم طه حسين الطبعة، وجهة إصدارها، وهي مطبعة (دار المعارف) في مصر، فيقول "هذه طرفة قيمة تهديها دار المعارف ومكتبتها إلى قراء العربية فتُمتع بها عقلهم وذوقهم وشعورهم وحسهم معًا"[3]. ثم تلا تعليقه بتقييم طبعة الكتاب قائلًا: "وأظن أني لا أتجاوز إرادة القارئ إذا أهديت إلى

---

[1] المصدر السابق، ص10.

[2] المصدر نفسه، ص9.

[3] نفسه، ص7.

مطبعة المعارف ومكتبتها وإلى الدكتور عبد الوهاب عزّام تحية ملؤها التقدير والإعجاب والأمل"[1]، وأجد أن طه حسين لم يهضم حقوق من سبقوه، وإنما دل عليهم بالاسم وبالعمل المنجز، مما يحقق ثقة القارئ.

2- وظيفة السؤال (كيف):

1.2 الوظيفة التكوينية:

أما فيما يتعلق بالكيفية التي ارتضاها طه حسين في كتابة تقديمه، فقد تتبع الرحلة التي مّر بها الكتاب منذ البداية إلى لحظة تكوّنه، فيقول "هو الوحدة العقلية الشرقية التي تنشأ عن التعاون والتضامن وتظاهر الأجيال والقرون بين أمم الشرق على اختلافها...، هذه الحكمة الخالدة الساذجة التي أفاضها روح الهند، ونقلها عنهم جهد الفرس، وصاغها في هذه الصورة العربية الرائعة ذوق العرب، وتوارثتها الأجيال ... حتى جعلتها جزءًا من التراث الإنسان الخالد... "[2].

يلاحظ مما سبق أن ما ذكره المُقدم هي الأصول الثلاثة التي مّر بها الكتاب، بداية من الأصل الهندي وحكمة الهنود في تأليف الكتاب على يد الفيلسوف الهندي بيدبا. ومن ثم إلى بلاد الفرس ورجاحتهم في نقل الكتاب من الثقافة الهندية إلى الفارسية على يد برزويه الطبيب، وأخيرًا نُقل إلى اللغة العربية، بعدما قام عبد الله بن المقفع بترجمته وتنقيح ما سبقه وتقديم إضافته.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق: عبد الوهاب عزّام، وتصدير: طه حسين، مؤسسة هنداوي، ص10.

[2] المصدر نفسه، ص8.

2.2 وظيفة اختيار الجمهور المستهدف:

حددّ طه حسين جمهور الكتاب المستهدف على النحو الآتي: "قراء العربية"[1]؛ أي جمهور يتقن اللغة العربية فتعينه على قراءة الكتاب، إلى جانب قوله "إذاعة الثقافة في الشرق العربي كله، وهي بهذا تحيي هؤلاء القراء أو قل هذه الأجيال من القراء الذين اتصلوا بها منذ نشأتها"[2]. وبهذه التحديدات يتبين أن الجمهور المراد من هذه الطبعة هو جمهور عربي، مثقف، عارف، يهتم بالعلم، وبالأدب، والثقافة. وأن هذه الفئات تتقاطع مع تلك التي استهدفها ابن المقفع في مقدمته (عرض الكتاب).

3.2 وظيفة التعليق على العنوان:

لم يفصّل طه حسين في العنوان، وإنما أتى بذكره حينما قال "(كَلِيلَة ودِمنَة)، رموزًا سامية صادقة، لمعانٍ سامية نحبها أشد الحب... هذه الحكمة الخالدة"[3]. وبالفعل فإن العنوان حمل شخصيات الكتاب التي كانت تُمثل أدوارًا بطولية في الكتاب، وهما كلبان من فصيلة ابن آوى أحدهما طيب عاقل، والآخر جشع.

4.2 وظيفة التأشير السياقي:

شرح المُقدم سياقات الكتاب بغية تنبيه المتلقي للسياق الذي وضع الكتاب من أجله، "في هذه الأيام لا يلتقي الناس إلا تحدث بعضهم إلى بعض عن آلام الحرب وآثامها "[4]، ويشير طه

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق: عبد الوهاب عزّام، وتصدير: طه حسين، مؤسسة هنداوي، ص7.

[2] المصدر نفسه، ص10.

[3] نفسه، ص8.

[4] نفسه.

حسين هنا إلى السياق الذي ظهر فيه الكتاب، وعليه تتقاطع هذه الوظيفة مع البنية الزمانية التي ذكرتها آنفًا.

5.2 الوظيفة القصدية:

وضّح طه مقصدية المطبعة والمؤلف من طباعة الكتاب فيقول" وأن المطبعة قصدت طبع هذا الكتاب للاحتفال بمرور نصف قرن على إنشائها، وبهذا تحيي ذكرى منشئ المطبعة ومكتبتها، وإذاعة الثقافة في الشرق العربي كله وهي بهذا تحيي هؤلاء القراء"[1]؛ أي أن هذه الطبعة قُدمت كهدية للقراء في مناسبة احتفالية للمطبعة.

ج. علاقة المقدمة بالمتن:

تنبّه طه حسين في مقدمته إلى مقاصد القصص في كتاب كليلة ودمنة، الذي يرى فيها النور في عالمه الحالك آنذاك "وما أجمل قول عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين في وصف هذا الكتاب (في هذا الكتاب حكمة الهند وجهد الفرس ولغة العرب)"[2] ؛ فارتبطت مقدمة طه حسين مع موضوع الكتاب القائم حول الحكمة والهَدي، والممزوج بحنكة فارسية فذة والمنظوم بلغة عربية رصينة.

ونادى بالمضامين التي حبّ أن يراها حاضرة في العالم العربي، فيقول "هذه الحكمة في صورتها العربية رمز لما نحب أن يكون من تعاون الأمم الشرقية على إشاعة البر والتقوى، وإذاعة الخير والمعروف، ومقاومة الإثم والعدوان."[3] فكانت هذه المجالات هي مقاصد الكتاب، وسياقاتها. فلم

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق: عبد الوهاب عزّام، وتصدير: طه حسين، مؤسسة هنداوي، ص10.

[2] محمد غفراني، عبد الله بن المقفع، ص38.

[3] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق: عبد الوهاب عزّام، وتصدير: طه حسين، مؤسسة هنداوي، ص8.

تأت القصص على نهج مغاير لغايات ابن المقفع، التي تعوّل على حضور قيادة مهدية تحكم بعدالة، وبعيدة عن الظلم والطغيان. ومن هنا سعى الناقد من خلال تقديمه إلى التذكير بحاجة الأمم والشعوب إلى القيم الفاضلة. بالإضافة إلى قصد المطبعة من إصدار الطبعة، المتمثل في نشر الثقافة والأدب، وهي أحد المقاصد التي نادى ابن المقفع بها، وخاصة في مقدمته (عرض الكتاب).

فمن خلال ما تقدم يتضح أن مقدمة طه حسين جاءت متكاملة ومتزنة؛ فأنصفت جهود من قبله، وحددت معالم الكتاب وموضوعاته وأغراضه واحتكمت للحظته الزمنية. وعلى الرغم من قصر صفحات مقدمته التي جاءت في ثلاث صفحات، فإن الناقد عالج أغلب وظائف المقدمة ومهّد للقارئ مضامين الكتاب بصورة موجزة وشاملة، وبين علاقتها مع متن الكتاب.

3-المقدمة الغيرية المتأخرة لأحمد طالب الإبراهيمي فبراير 1973م[1]:

كُتب التقديم بقلم المفكر الجزائري أحمد طالب الإبراهيمي وهو كاتب ودبلوماسي معروف. فالمقدمات الغيرية تكتسب أصالتها عندما تُخط بقلم من هو مؤهل حتى يقدّم نصًا قادرًا على حث القراء "وطرح بعض القضايا الفنية والجمالية في النص، وغالبا ما يكون هذا المقدم ناقدًا متخصصًا، أو مبدعًا مشهوًرا. "[2]، ولكن وقع الخلط المصطلحي والمفاهيمي نفسه بين التصدير والمقدمة مع المفكر أحمد طالب الإبراهيمي، مثلما حدث مع الناقد طه حسين. فالتصدير هنا يُقصد به المقدمة بعدّها "نوعًا من التعاقد الضمني والصريح بين المؤلف والقارئ"[3]. وجاءت مقدمته في ثلاث صفحات مكثفة بنظرة المفكر المتخصص في القضايا السياسية والدبلوماسية.

أ. البنيات الزمانية والمكانية:

عرض الإبراهيمي الفترة الزمنية والمكانية للكتاب فيقول: "ورغم أن الكتاب عريق في القدم فمازالت الحاجة إليه تتجدد لاتفاق العامة والخاصة على تقديره"[4]؛ أي إن الكتاب ظهر منذ فترة زمنية طويلة، ولكن ما زالت الحاجة إليه مُلِّحة وقائمة؛ لما فيه من روائع. ويظهر تميّز الكتاب وسياقاته في رصده أفعال مثاقفة الأمم والشعوب، وشهوده على حركات الترجمة التي حفظت الكتب ونقلتها إلى مختلف الحضارات والثقافات مثل: الهندية والفارسية والعربية.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق: عبد الوهاب عزّام، تصدير: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الشروق والمكتبة الوطنية.

[2] عبد الحق بلعابد، خطاب المقدمة في السرد القطري، ص234.

[3] ينظر: عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، ص17.

[4] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، تصدير أحمد طالب الإبراهيمي، ص5.

كما أشار الإبراهيمي إلى أن الكتاب منقول من الفارسية إلى العربية بقوله: "وجاء اختيارنا لهذا الكتاب باعتباره من أوائل الكتب المترجمة إلى العربية، هذه الترجمة الراقية التي تدل على براعة ابن المقفع"[1]. كما تطرق إلى جهة إصدار الكتاب وهي دار الشروق اللبنانية، التي أعادتها الشركة الوطنية للنشر في الجزائر، والإشارة إلى جهة الإصدار هي من أهم مكونات المقدمات الغيرية.

كما عوّل الكاتب على اهتمامها بالمدونات التراثية العربية، وكيف أفادت دار الشروق هذه الطبعة واستفادت منها، فيقول "لقد دفعنا إلى اختيار هذا الكتاب عدة عوامل أولها: أن تلعب دولة الجزائر المستقلة دورها في إحياء التراث العربي الإسلامي، وتشارك بذلك اشقاءها في البلدان العربية، وبما أن دولة الجزائر تخوض اليوم معركة التعريب فإن هذا الكتاب يعتبر من أهم الوسائل المساعدة على ذلك"[2]. فمن خلال هذه الومضات يظهر اعتزاز الإبراهيمي بجهود دولة الجزائر في إنتاج هذه الطبعة الشاملة لطبعات الكتاب منذ بداية ظهوره، وأن الكتاب يجمع ما بين الأمة العربية والأمم الأخرى في سماته، وأفكاره ومواضيعه.

وبهذا يكون الكتاب قد أسس لفترة تاريخية معينة مشابهة لما يحدث في العالم العربي المعاصر فيقول الإبراهيمي "إن الفترة التي عاشها ابن المقفع تشبه هذه الفترة التي نعشيها اليوم، فقد كانت الثقافة العربية الفتية آنذاك تهضم كل ما في الثقافات الأخرى..."[3]، وعلى هذا المبدأ تجلّت الأهمية التاريخية والفكرية والوظيفة السياقية للمقدمة. فالسياق الذي مكّن كتاب كَلِيلَة ودِمنَة أن يكون كتابًا

---

[1] المصدر السابق، ص6.

[2] المصدر نفسه، ص5.

[3] نفسه، ص6.

عالميًا وكونيًا، هو تاريخانيته التي أكدت مقولة (التاريخ يعيد نفسه)، وهذا ما ستؤكده الوظائف المحركة لهذه المقدمة الغيرية.

ومن الملاحظ أن الإبراهيمي نظر إلى كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) نظرة السياسي؛ عندما خرجت دولة الجزائر من طور الاستعمار إلى طور الاستقلال، فأراد أن ترد الطبعة اعتبار الدولة بالكتابة التراثية؛ لكي لا تُمسح الهُوية الثقافية العربية الإسلامية الجزائرية.

ب. وظائف المقدمة الغيرية للإبراهيمي:

1- وظائف السؤال (لماذا)

1.1 وظيفة الأهمية:

عرض الإبراهيمي أهمية اختيار الدولة لهذا الكتاب والاعتناء به؛ كونه كتابًا يجمع الأمة العربية وغيرها من الأمم الأخرى، فهو ليس بالكتاب الغث عديم الفائدة؛ ولهذا ذكر أهمية الكتاب في داعيه الأول بقوله: " كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) من أحسن الكتب التي تمثل هذا التراث"[1].

كما أن هنالك أهمية تاريخية شملتها البنية الزمانية والمكانية للمقدمة، عندما تحدّث المُقدم عن الفترة التاريخية المتشابهة بين زمن ابن المقفع، وزمنه. وتظهر الأهمية العالمية للكتاب؛ لأنه تُرجم لعدة لغات، وينتمي لعدة قوميات كالهندية والفارسية والعربية. ويؤكد ذلك الإبراهيمي بقوله "حيث نشطت حركة الترجمة إلى العربية من علوم الهند والفرس والإغريق وغيرها، وجاء اختيارنا إلى هذا الكتاب باعتباره من أوائل الكتب المترجمة إلى العربية، هذه الترجمة الراقية التي تدل على براعة ابن المقفع"[2] فجمع بقوله هذا بين وظيفة الأهمية والوظيفة التقييمية.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، تصدير أحمد طالب الإبراهيمي، ص5.

[2] المصدر نفسه.

2.1 وظيفة الصدقية:

استشهد الإبراهيمي برأي العلاّمة محمد كرد علي في كتابه (كنوز الأجداد) عندما أشاد ببراعة ترجمة ابن المقفع؛ إذ أن الكتاب ترجم بعد ترجمة ابن المقفع إلى ما يقارب عشرين لغة، وإن دل ذلك فإنما يدل على جودة ترجمة ابن المقفع ونقله. فيثني الإبراهيمي بنقل ابن المقفع وما أضافه في الكتاب فيقول "أن كثيرًا من قصص والأساطير والحكايات التي نراها في الآداب العالمية مستوحى من كتاب كَلِيلَة ودِمنَة"[1]، وهنا اجتمعتا وظيفة الصدقية ووظيفة وحدة العمل.

2- وظائف السؤال (كيف):

1.2 الوظيفة القصدية:

تقصّد الإبراهيمي اختيار كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)؛ بسبب أن "لغته البلاغية آية في البلاغة العربية التي توصف بالسهل الممتنع"[2]، وأوافقه الرأي؛ لأن لغة الكتاب تُناسب الصغار والكبار على حد سواء، ولكن مضمرات الكتاب ومقاصده هي التي نُسجت بمستويات متنوعة حسب تنوّع القراء. وهذا يدل على قريحة ابن المقفع المتقدة في التأليف، وبراعته في القص. فقد برز الجانب الفني والأسلوبي لابن المقفع عندما استطاع أن يُشكل مجموعة قصصية تناسب الجميع. فعملت دار النشر على إخراج نسخة موجهة للصغار، مشوّقة ومدعمّة بصورٍ توضيحية، وملوّنة، إلى جانب نسخة للكبار أخرجت بهيئة الكتاب الأصلية.

---

[1] المصدر السابق، ص6.

[2] المصدر نفسه.

2.2 وظيفة اختيار الجمهور المستهدف:

عيّن الإبراهيمي الجمهور المستهدف من الكتاب، فيقول: "يسرني أن أقدم لقراء العربية هذه الطبعة الجديدة من كتاب كليلة، الذي نقله عن الفارسية عبد الله بن المقفع"[1]. ويضيف "ما أحوج أجيالنا، وناشئتنا، لمثل هذا الكتاب وتدبر فيه...، مما يشجع شبابنا على المطالعة ويساعده على تكوين ملكة الكتابة ...، بالإضافة إلى الدروس والعبر التي يضمها، والتي لا يستغني عنها الكبار ولا الصغار"[2] ومن هنا يتضح أن مستويات قُراء الكتاب بالنسبة إلى الإبراهيمي هم: الناشئة والشباب، والكبار، وهي المستويات التي حددها ابن المقفع في مقدمته (عرض الكتاب).

ج. علاقة المقدمة بالمتن:

استطاع الإبراهيمي في تقديمه أن يوضح للقارئ مقاصد كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) ومواضيعه وسياقاته. التي ترابطت مع القصص والأمثال والقصص والعِبر بسلاسة. حينما عدّد مجالات اشتغال الكتاب، "فهو أثر فني رفيع جميع بين الأدب، والأخلاق، والسياسة، والحكمة، والتربية "[3]. فعلى الرغم من قِصر مقدمته فإنها دلّت القارئ على محتوى الكتاب ومضمونه، واشتغال المحقق عبد الوهاب عزّام، وتحقيقه ليُخرج مقدمته التحليلية التي أفادت النسخ فاستفاد منها القراء.

من خلال ما تقدم وجدت أن هنالك علاقة بين المقدمات الغيرية ومتن الكتاب؛ لأنها إما تشرح أو تحلل، وإما تنقد، وإما تعطي مستقبل هذا النص الذي يبقى عند الأجيال ماضيًا وحاضرًا. وهذا

---

(1) عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، تصدير أحمد طالب الإبراهيمي، ص5.

(2) المصدر نفسه، ص5 – 6.

(3) نفسه.

تحديدًا المُراد من المقدمات في تهيئة القارئ قبل الولوج إلى عالم النص وأغواره، وتفعيل خاصية القراءة الأولية الشاملة، التي تعين على فهم سياق الكتاب، وربطه بموضوعه الرئيس.

المطلب الثاني

اشتغال المقدمات الذاتية في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)*

عُرّفت المقدمات الذاتية أو مقدمة المؤلف بأنها "المقدمة التي يكتبها المؤلف فإما أن يكتب المؤلف مقدمة تعريفية يُعرّف فيها بإنتاجه تعريفًا يقربه من القارئ ومن الجمهور بصفة عامة. وإما إن يختار المؤلف كتابة مقدمة تحليلية نقدية، وإما أن يكتب المؤلف مقدمة تأخذ صورة المقدمة البيان"[1] . إلى جانب أن خطاب المقدمات الذاتية "يقوم بوظائف تختلف حسب طبيعة المرسِل، وزمن النشر، ومكانه، وظروف الكتابة وغاياتها"[2]. وهذا ما تمثّل في المقدمات الذاتية في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) في: مقدمة (عرض الكتاب) لابن المقفع التي ظهرت في أول الكتاب، عندما نقل الكتاب إلى العربية وأضاف إليه مجموعة من القصص والأمثال والحكم.

وعقِبتها مقدمة باب (توجيه كسرى أنو شروان برزويه إلى بلاد الهند)؛ وهي المقدمة الفارسية التي كتبها الفرس عندما نقلوا الكتاب من الهند. وأخيرا مقدمة (باب برزويه الطبيب من كلام بزرجمهر ابن البختكان)؛ وهي مقدمة الباب التي طالب بها برزويه الملك، حينما أراد الملك أن يقدم هدية لرسوله برزويه عندما أتى بالكتاب من الهند.

(*) كل ما يأتي في هذا المطلب الخاص باشتغال المقدمات الذاتية في كتاب كليلة ودمنة، فالطبعة تحيل على: عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق: عبد الوهاب عزّام، تصدير: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الشروق والمكتبة الوطنية.

(1) مصطفى سلوي، عتبات النص: المفهوم – الموقعية – الوظائف، ص71.

(2) للاستزادة ينظر: محمد ابن عياد، خطاب المقدمات في الشعر المغربي الحديث والمعاصر، ص56-58.

وسأحلل وظائف المقدمات وفقًا لمكونات المقدمة في التأليف القديم*، ويمكن استنطاق الوظائف من خلال تحريك المكونات البنيوية للمقدمات التراثية. عندما كانت المقدمات تُقسم إلى ثلاث وظائف، الوظيفة الأولى: التأصيلية، وتجيب عن سؤال (لماذا) وتشمل: أهمية الموضوع، زمان المكان ومكانه، دواعي المؤلف، جنس التأليف، أصول الكتاب ومصادره.

إلى جانب الوظيفة الثانية، وهي الوظيفة التفصيلية وتجيب عن سؤال (كيف)؛ وتتضمن: أغراض الكتاب، ومقاصد تأليفه، وطيفية تأليفه. أما الوظيفة الثالثة، فهي الوظيفة التواصلية، وبها يتحدد الجمهور المستهدف من الكتاب، أي لِمن كُتب الكتاب؟ وتتفرع في ثلاثة أقسام، المرسِل وهو مؤلف الكتاب، والمُرسل وهو النص، والمُرسل إليه وهو القارئ.

*بالنسبة إلى الوظائف فإنها تتضمن مكونات المقدمة وفق التحليل التراثي للمقدمة، بحسب ما ذكرته في الفصل الأول النظري.

1-المقدمة الذاتية التوجيهية لعبد الله بن المقفع:

مقدمة عرض الكتاب

ظهرت مقدمة (عرض الكتاب) في بداية الكتاب كأول مقدمة كُتبت بالعربية، وجاءت في تسع صفحات. ومن ثم فهي مقدمة لاحقة لمقدمات أخرى سابقة كُتبت بالهندية والفهلوية الفارسية. ألّفها ابن المقفع بموجب ظروف سياسية وسياقات اجتماعية وثقافية ظهرت في العصر العباسي آنذاك.

فأراد من مقدمته إصلاح المجتمع سياسيًا واجتماعيًا، مُدعمًّا إياها بقصص مترابطة ومتسلسلة تقرّب المعاني المرادة إلى الأذهان، مُكثفة بأمثال تربوية. ومنها قصة طالب العلم والصحيفة الصفراء، وقصة الرجل المتواني والسارق، وبائع السمسم وشريكه، والفقير والسارق، وغيرها من القصص التي تُعين الناس على الحياة بنهج أخلاقي سليم كقوله "يحق على صاحب الدنيا إصلاحُها وأن يتدارك لنفسه فيها: أمر دنياه، وأمر معيشته، وأمر ما بينه وبين الناس"[1] فجاءت المقدمة كدستور حياة للأمم.

كما تضمنت مقدمته على الوظائف المقدماتية التي عرضت أبواب الكتاب، وطريقه فهمه، ومستويات تلقيه، والمضامين المرجوّة منه والعبر فيه. فمقدمة (عرض الكتاب) كانت وثيقة كونية شاملة لمجموعة من الإرشادات والدعاوي الإصلاحية التي تتناسب كل زمان ومكان، وتعين كل حاكم أو مسؤول يسعى أن يحقق أسس العدالة المجتمعية والسلام.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص44.

أ. البنيات الزمانية والمكانية:

يترادف هذا العنصر مع مكوّن زمان التأليف ومكانه في الديباجة التراثية. فقد تناول عبد الله بن المقفع في مقدمته أصل الكتاب الهندي ثم الفارسي المترجم باللغة الفهلوية. فقد " كُتب أولا باللغة "الهندية السنسكريتية" في 12 بابًا، ونقل إلى لغة "التيبت"، فاللغة "السريانية"، ثم إلى الفهلوية أي الفارسية القديمة'، وعنها نقل ابن المقفع الترجمة العربية وصدرها بمقدمة سماها–عرض الكتاب– على أن الترجمات ذهبت كلها إلى ترجمة ابن المقفع التي هي بين أيدينا"[1]؛ وعليه فإن مقدمة عرض الكتاب هي مقدمة ذاتية أصلية، لمّا ضاع أصل الكتاب.

وبيّن ابن المقفع مذهبه الفني موضحًا أن القصص ذُكرت على ألسنة الطير والحيوان وفيها مواعظ خفية ومبطنّة؛ ليأمن شر الحاكم، فالغاية من الكتاب هو التوجيه والإرشاد للحاكم.

ب. وظائف المقدمة الذاتية لابن المقفع:

1– الوظيفة التأصيلية: وهي وظيفة السؤال (لماذا) التي تكشف عن أهمية الكتاب؛ "لأنها تطرح في مضمون مُعيناتها مجموعة من الأسس التي انبنت عليها فكرة الكتاب"[2] ومكوناتها هي أهمية الكتاب، الدواعي الذاتية والموضوعية، جنس التأليف.

1.1 أهمية الكتاب:

برزت أهمية الكتاب في مقاصده الإرشادية والوعظية الموجهة للحكام والرعية، فللكتاب أهمية توجيهية برزت في قول ابن المقفع: "فإذا احتنك الحدث واجتمع له أمره، وثاب إليه عقله، وتدبر ما كان حفظ منه، وما وعاه في نفسه، عرف أنه قد ظفر من ذلك

---

[1] خالد ناصري، القصدية في كتاب كَلِيلَة ودِمنَة، ص11.

[2] مصطفى سلوي، عتبات النص: المفهوم–الموقعية–الوظائف، ص27.

بكنوز عظام"[1]؛ إذ شبّه الكتاب بالكنوز من الذهب والفضة، والقصد هنا الكنوز المعرفية والأخلاقية والتوجيهية.

2.1 دواعي التأليف:

دُعِمّت مقدمة كَلِيلَة ودِمنَة بقصص مُرسِخة لمعاني التهذيب، وقرّبت المعنى المراد للأذهان، وهو غرض كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة). فعلى سبيل المثال وضع ابن المقفع تقييمًا لكتابه في آخر مقدمته قال فيه: "فمن قرأ هذا الكتاب فليتقد بما في هذا الباب؛ فإنني أرجو أن يزيده بصرًا ومعرفة. فإذا عرفه اكتف واستغنى عن غيره. وإن لم يعرفه لم ينتفع به، فيكون مثله كمثل الذي رمى بحجر في ظلمة الليل، فلا يدري أين وقع الحجر ولا ماذا صنع"[2]. وهنا يتضح رأي ابن المقفع في كتابه، ودواعي تأليفه المتمثلة في تبصرة الشعب بالعلم والمعرفة للتصدي ضد القمع والقهر السياسي.

ويردف ابن المقفع القول "ينبغي لمن طلب أمرًا أن تكون له غاية ينتهي إليها، لا ينبغي للعالم أن يعيب أحدًا بما هو فيه، وحق على المرء أن يكثر المقايسة، وينتفع بالتجارب...، حتى يحذر الشيء بما لقي من غيره، ينبغي أن يكون للأمور عنده حد لا يجوزه ولا يقصر عنه.."[3] وغيرها من الوصايا والتوجيهات والعظات.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص37.

[2] المصدر نفسه، ص45.

[3] نفسه، ص42.

3.1 جنس التأليف:

بيّن ابن المقفع جنس عمله، وهو عمل أدبي عماده "بليغ الكلام ومتقنه"[1]، فلم يكن الكتاب شعرًا ولا كلامًا مسجوعًا، بل قام على قصص ومواعظ مسبوكة بأساليب نثرية.

4.1 مصادر التأليف:

يقول ابن المقفع في أصل الكتاب "هذا كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)، وهو مما وضعه علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي التمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول، في النحو الذي أرادوا"[2]. ففي هذا القول بيّن ابن المقفع مصادر تأليف الكتاب؛ وهو الأصل الهندي، كما وضّح مقاصد تأليفه المتمثلة في الحكمة والتوجيه. وهنا تتعالق الوظيفة التأصيلية مع الوظيفة التفصيلية التي تجيب عن سؤال مقاصد الكتاب وأغراضه، وطرّق تأليف.

2- الوظيفة التفصيلية:

هي الوظيفة التي تسعى إلى الإجابة عن السؤال (كيف)؛ بمعنى كيف ألف المؤلف كتابه؟ وتشمل المكونات "التنظيمية، والتنسيقية، والتفسيرية، وفيها يجنح المؤلف إلى تفصيل أغراض الكتاب ومقاصده وكيفية تأليفه"[3].

1.2 أغراض الكتاب:

يتبين غرض الكتاب من قول ابن المقفع "عليه بالفهم لما يقرأ والمعرفة حتى يضع كل شيء موضعه وينسبه إلى معناه"[4]، فتظهر أغراض الكتاب وأهدافه في توعية العقول وبخاصة الراعي

---

(1) عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص37.

(2) المصدر نفسه.

(3) نفسه، ص28.

(4) نفسه، ص38.

والرعية. من خلال تمجيد السمات الحميدة في الناس والإشادة بالخصال الطيبة التي تكفل الحياة الرغيدة. فضلًا عن ضرورة استحضار الله عز وجل في جميع توجهاتنا في الحياة، فـ "من قل تعلّقه بالدنيا قلّت حسرته عند فراقها"[1].

2.2 مقاصد التأليف:

برز قَصْد ابن المقفع من إلحاق بابه الخاص في الكتاب في قوله "ألحقنا بابًا بالعربية ليكون له أسا ليستبين فيه أمر هذا لكتاب لمن أراد قراءته، وفهمه، والاقتباس منه"[2]. وهنا دلالة واضحة تفيد غرض ابن المقفع من نقل الكتاب إلى العربية وإضافة مقدمته، وهو إفادة القراء العرب بمضامين الكتاب سياقاته وحِكمه والاستفادة منها. "فكتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) يُصنف ضمن الحكايات المَثَلية التي تتخذ صيغة التمثيل طابعًا لها، بوصفها آلية حجاجية تبناها ابن المقفع في توصيل حكمه وخبراته، أو لنقل وصاياه ونصائحه"[3].

3.2 كيفية تأليفه:

صرّح ابن المقفع بأصول الكتاب ومن ثَم علّق على دوره في نقله إلى العربية فقال "وإنا لما رأينا أهل فارس قد فسروا هذا الكتاب وأخرجوه من الهندية إلى الفارسية أضفنا بابًا بالعربية"[4]، فهو لم يكتف بالنقل بل أضاف بابًا في الكتاب.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص42.

[2] نفسه، ص45-46.

[3] خالد ناصري، القصدية في كتاب كَلِيلَة ودِمنَة، ص34.

[4] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص45.

3- الوظيفة التواصلية:

"وهي الوظيفة التي يقوم عليها فعل التواصل بين المؤلف والمتلقي المفرد الذي ألف له الكتاب"[1].

ومن خلال الرجوع إلى مقدمة (عرض الكتاب) يظهر أن المُقدِم هو ابن المقفع، والمقدَم هو كتاب كَلِيلَة ودِمنَة. أما المُقدَم إليه فهو جمهور متعدد المستويات قسّمه كالآتي: " وأما هو فجمع لهوًا وحكمة. فاجتباه الحكماء لحكمته، والسخفاء للهوه، وأما المتعلمون من الأحداث وغيرهم فنشطوا لعلمه، وخف عليهم حفظه"[2]. وفي هذا تصريح بأن ابن المقفع تنبّه إلى فكرة مستويات التلقي. فـ"يبدي ابن المقفع في مقدمته وعياً عميقًا بمستويات قراء الرسالة. فليس المتلقون كلهم بمرتبة واحدة وليست غايتهم جميعا من قراءة الكتاب واحدة، بل ثمة تفاوت في مستويات المتلقين تبعا للمستوى الثقافي الذي يتمتع به كل قارئ"[3]. كان المستوى الأول؛ مُوجه للحكماء والعلماء الذين يتلقون الكتاب من منظور فلسفي عميق. أما المستوى الثاني؛ فهو موجه للقراء الذين يقرأون الكتاب في مستواه السطحي؛ فيحصلون على التسلية والمتعة من القصص. بينما المستوى الثالث؛ فتمثل في الناشئة، الذين يتلقون الكتاب ويقرؤونه كما هو دون التبصر في "قيمته الأدبية والأخلاقية"[4].

كما وضح ابن المقفع الطُرق التي على القراء انتهاجها أثناء تلقي الكتاب، يقول: "أول ما ينبغي لمن طلب هذا الكتاب أن يبتدئ فيه بجودة قراءته والتثبت فيه، ولا تكون غايته من بلوغ آخره

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر نفسه، ص45.

[3] ولات محمد، مقدمة ابن المقفع لكَلِيلَة ودِمنَة: مستويات القارئ، مجلة كلية الآداب، العدد 32، جامعة سلجوق، تركيا، 2014م، ص 130.

[4] المرجع السابق، ص132.

قبل الإحكام له، فليس ينتفع بقراءته ولا يفيد منه شيئًا، ... فعليه بالفهم لما يقرأ والمعرفة حتى يضع كل شيء موضعه وينسبه إلى معناه"[1]. ومن هنا دعا ابن المقفع القراء بأن يتأنوا في فهم الكتاب حتى يظفروا بأهميته ومبتغاه. ولإيضاح مبتغاه من الكتاب وضع في مقدمته قصة تفيد التأني في فهم الكتاب وأخذ العبرة منه.[*] فكان الكتاب منارة الإرشاد للأمم، وعِماد النصح ومجمع للمحاسن.

وفي هذا السياق استحضر ابن المقفع قصة عن "الرجل يُدرك فيجد أباه قد كنز له من الذهب والفضة، واعتقد له ما استغنى به عن استقبال السعي والطلب"[2]؛ وهنا علامة على أن ابن المقفع رفض تلقي الكتاب بصورته السطحية من دون إعمال العقل في الفهم والتدبير. ومن البيّن أن ابن المقفع رسم شخوصه الدالة في كتابه حتى يحاكي طبيعة الحياة في تلك الفترة بصورة رمزية تؤمنه من طيش الحكام.

ج. علاقة المقدمة بالمتن:

تعالقت مقدمة عرض الكتاب مع متن الكتاب ومقاصده؛ إذ سعت القصص والأمثال إلى نشر الفضيلة، والحكمة، والفضائل. فعلى سبيل المثال قوله: "وقد نرى بعض من يقرأ الكتاب فيتعجب منه ويجهد نفسه في حفظه ويترك العمل به"[3]. ويضيف " أن الأدب يجلو العقول كما يجلو الودك النار ويزيدها ضوءًا"[4]. وفي هذه الأقوال إشادة بأدوار الأدب والعلم، وما فيهم من عوامل لتنمية البصائر وتوعية العقول وتنويرها.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص38.

[*] للاستزادة ولقراءة قصة الرجل والكنز ينظر: عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص45.

[2] المصدر نفسه، ص37-38.

[3] نفسه، ص41.

[4] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص40.

كذلك سرد ابن المقفع قصة الرجل الذي داهمه لص في بيته، فقرر صاحب البيت أن يصمت حتى ينتهي اللص من سرقته، فيمسك به قبل أن يخرج. "فسكت وهو في فراشه، وجعل السارق يطوف في البيت، ويجمع ما قدر عليه حتى غلب على صاحب البيت النعاس، وحمله النوم، واستيقظ الرجل بعد ذهاب السارق فلم ير في منزله شيئًا، فجعل يلوم نفسه ويعاتبها ويضرب كفيه أسفًا، وعرف أن فطنته وعلمه لم ينفعاه شيئًا إذا لم يستعملهما"[1]. ويمكن القول ابن المقفع يريد من خلال هذه القصة أن يعضد على دور العقل، وحث الناس على التفكير مليًا قبل أن يقدموا على أي أفعال قد تسلبهم حياتهم.

وينصح العاقل بأن يستفيد من بصيرته فلا يكون مثل البصير الذي لم يستخدم بصره، فوقع في الجُب هو والكفيف معًا عندما "صار والأعمى في الجُب بمنزلة واحدة"[2] دلّت القصة على تلك الفئة من الناس التي عرف فضائل العلوم فلا تنتفع بها ولا تفيد غيره. وهنا إشارة على مكانة المتعلم العارف وما يتوجب عليه فعله حتى يُوجه شعبه وقومه ومجتمعه، مع العلم بأن العلم والحكمة لن يأتيا بلا جهد وسعي، "فالعلم لا يتم لأمرئ إلا بالعمل"[3]؛ فيجب التطلع وراء المعرفة وطلبها ونشرها بين الناس، حتى ترتقي المجتمعات وتتخلص من ربقات الجهل والضلال.

---

[1] المصدر السابق، ص40.

[2] نفسه.

[3] نفسه.

2-المقدمة الذاتية الوعظية:

مقدمة باب توجيه كسرى أنو شروان برزويه إلى بلاد الهند

وهي مقدمة بزرجمهر الفارسي، ترجمها ابن المقفع للعربية وجاءت في تسع صفحات. وبزرجمهر هو وزير أنوشروان ونُسبت إليه الحكمة والرصانة، كما عُرف بعدله ورجاحه عقله. وظهرت سماته من خلال مقدمته التي وضعها لكتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وتوَّجها بجميل القَص، وبديع الأمثال؛ وذلك لأن المقدمة "هي محفل نصي قادر على إنتاج المعنى، وتشكيل الدلالة"[1].

إذ اكتنزت مقدمة بزرجمهر بالحكم المتزنة ومنها قوله: "لا شيء أفضل من العقل والأدب، فمن منّ عليه خالقه بالعقل، وأعان هو على نفسه بالمثابرة على الأدب والحرص عليه سعد جدّه، وأدرك أمله في الدنيا والآخرة"[2] وفي هذا تعالق مع مقدمة عرض الكتب لابن المقفع عندما حث على فضائل العلم والأدب في تقويم سلوك الإنسان، ومع مضمون الكتاب.

ومن ثم عرض المُقدِّم أصل الكتاب الهندي، وحدّث عن طريقة وصوله إلى بلاده فارس عبر برزويه وهو مبعوث بزرجمهر، الذي ابتعثه للحصول على الكتاب من الهند. بعدما عرف أهمية الكتاب السياسية وما فيه "مما يحتاج إليه الملوك في سياسة رعيتها وإقامة أوَدها وإنصافها"[3].

---

(1) للاستزادة ينظر: محمد ابن عياد، خطاب المقدمات في الشعر المغربي الحديث والمعاصر، ص55.

(2) عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص49.

(3) المصدر نفسه، ص50.

وبناءً على هذه الأهمية المعرفية للكتاب، سعى بزرجمهر إلى أن يحصل على الكتاب للنهوض بمملكته مهما كلفه الأمر وذلك "للاستعانة به على سياسته، والعمل بحسن تدبيره"[1].

وعليه دارت مقدمة بزرجمهر حول بيان أهمية الكتاب، والخصال الحميدة التي وجدها في برزويه، مما دعته لكي يختاره كمبعوث في مهمة أخذ الكتاب. كذلك زودّ مقدمته بالقصص الحكيمة التي تماشت مع مضمون الكتاب وسياقه الإرشادي والوعظي. وبشكل عام فقد تطرّق بزرجمهر في مقدمته إلى أغلب عناصر المقدمة الذاتية، التي تعين على فهم أهمية الكتاب، ودواعي تأليفه، ومصادره، وكيفية الحصول عليه.

أ. البنيات الزمانية والمكانية:

وردت المقدمة الذاتية لبزرجمهر بعد مقدمة ابن المقفع وحصر فيها المؤلف طريقة تكوين الكتاب ومكوناته الزمانية والمكانية في قوله: "جعل الله لكل شيء سببًا، ولكل سبب علة، كان من على انتساخ هذا الكتاب، ونقله من بلاد الهند إلى مملكة فارس، وقد هممنا ألا ندع مع بعد السفر وصعوبة الأمر ومخاطر الطريق وكثرة النفقة طلب هذا الكتاب حتى نصل إلى نسخه ونقف على إتقانه، ورصانة أبوابه وعجائبه "[2]، وهنا تتجلى ظروف الحصول على الكتاب، والمصاعب التي كابدها برزويه من سفر طويل، وغربة وارتحال ومهمة صعبة، كان ختامها أن ملك الهند كشف أمره وطلب منه الرجوع إلى بلاده، ولكنّه في النهاية حصل على الكتاب.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص50.

[2] المصدر نفسه.

ب. وظائف المقدمة الذاتية لبزرجمهر:

1- الوظيفة التأصيلية:

1.1 دواعي التأليف:

ذكر بزرجمهر أهمية كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)؛ "لأن مفتاح كل مقدمة هو حرصها على ذكر الغرض أو الدافع إلى التأليف"[1]، فجاءت أهميته أن فيه "ما يحتاج إليه الملوك في سياسة رعيتها وإقامة أودها وإنصافها. فلا قوام للرعية إلا بحسن سياسة الملوك وسعة أخلاقها...، ونحن مرسلوك إلى بلاد الهند لما بلغنا عن كتاب عند ملوكها وعلمائها قد ألّفته العلماء، وهذبته الحكماء... فإذا أكملت ما تريده وانت في بلاد الهند كتبت إلينا ....، وليكن من شأنك التثبت والتأني في جميع أمورك..."[2]، ومن الدلالات التي ظهرت في كلمات المؤلف أن المستهدف من المقدمة هو الطبيب برزويه كسرى أنو شروان.

2.1 جنس التأليف:

أما جنس التأليف فقد ظهر في قوله "فلما قرأ الكتاب وسمعوا ما فيه من العلم والأدب والأعاجيب التي حكوها على ألسن الحيوان والطير.."[3]، وهي مواضيع الكتاب وأغراضه التي جاء من أجل الترسيخ لها. "ويندرج خطاب كليلة ودِمنَة ضمن جنس الخرافة (الحكاية على لسان الحيوان)، وهي حكايات ذات طابع خلقيّ وتعليميّ في قالبها الأدبيّ الخاص بها، وهي تنحو منحنى الرمز-في

---

[1] مدخل إلى عتبات النص، عبد الرزاق بلال، ص18.

[2] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص51.

[3] المصدر نفسه، ص55.

معناه اللّغوي العام لا في معناه المذهبي"[1]. فالكتاب نثري ليس شعري، وكذلك مقدمة بزرجمهر التي شملت قصصًا وعبرًا وروائع أدبية وقيمية جاءت متناسبة وطبيعة الكتاب.

2- الوظيفة التفصيلية:

1.2 مقاصد التأليف:

إضافة إلى ما سبق، ذكر المُقدم القصد من الكتاب ورحلة جمعة فيقول "فمن قرأ هذا الكتاب فليعرف السبب الذي وضع عليه كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)، وحوّل من أرض الهند إلى أرض فارس، وليعرف فضل الملوك وطاعتهم، ويؤثرها على سائر الأعمال، وليعلم أن الشريف من شرّفته الملوك، ورفعته في دولتها"[2]. وفي هذا البيان ذكر بزرجمهر دواعي اختيار برزويه المتمثل في "إلهام الله تعالى أنو شروان كسرى ابن قباذ في ذلك؛ لأنه كان من أفضل ملوك فارس علمًا وحكما ورأيا وأكثرهم بحثًا في مكامن العلم والأدب"[3].

2.2 كيفية التأليف:

وضّح بزرجمهر الطريقة التي حصل بها على الكتاب وترجمته إلى الفهلوية بقوله: "هم بالبعثة في طلب كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وانتساخه. قال في نفسه: من لهذا الأمر العظيم، والأدب النفيس والخطب الجليل الذي يزّين به ملوك الهند دون فارس؟"[4]؛ أي أن ملك الفرس استشعر أهمية

---

[1] حبي حكيمة، السياق التداولي في كَلِيلَة ودِمنَة لابن المقفّع، رسالة ماجستير، إشراف آمنة بلعلى، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2000م. ص7.

[2] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص58.

[3] المصدر نفسه، ص50.

[4] نفسه.

الكتاب، فسعى إلى الحصول عليه؛ ليفيد بلده ويستفيد منه قومه. وهنا تظهر أهمية كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وعالمية تجاربه التي تفيد كل الأقطار والأقوام.

3.2 خطة التأليف:

أما حجة وجود الباب باسم الطبيب برزويه تظهر في القصة الآتية "إن رأى الملك أن يأمر بزرجمهر بن البختكان أن يضع لي في رأس هذا الكتاب بابا باسمي، وينسب إليه شأني وفعلي ليكون لمن بعدي عبرة وتأديبا ويحيا به ذكري ما حييت في الدنيا وبعد وفاتي"[1]، فعندما أراد الملك أن يكافئ رسوله على ما فعله للهند، قرر أن يقدم له هديةً تعبيرًا عن امتنانه وشكره، وأراد برزويه أن تكون هديته مقدمة في الكتاب، كما سيظهر في المقدمة الأخيرة في الكتاب، مقدمة (باب برزويه الطبيب من كلام بزرجمهر ابن البختكان).

3- الوظيفة التواصلية:

بدأ بزرجمهر مقدمته بذكر فضل العلم على عقل الإنسان، وحياته فيقول "كذلك العقل من الإنسان لا يظهر حتى يُظهره الأدب وتقويه التجارب، فإذا استحكم كان هو ولي التجارب والمقوي لكل أدب والمميّز لجميع الأشياء، والدافع لكل ضر. فلا شيء أفضل من العقل والأدب"[2]. وبالرجوع إلى العناصر التواصلية في المقدمة وتحليلي لها أجد أن المُقدِم / المُرسل: هو بزرجمهر، والمُقدم له: هو برزويه.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص57.

[2] المصدر نفسه، ص49.

ج. علاقة المقدمة بالمتن:

ظهرت المقدمة متحدة ومترابطة تذكر من بدايتها دوافع الملك في اختيار برزويه وما توسمه فيه من خصال حميدة تؤهله للسفر ولأخذ كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) من الهند؛ بسبب قدرته على حفظ السر في نقل إلى بلاده فارس.

فتناغمت صفاته الحميدة وموضوع الكتاب، فيقول بزرجمهر "أعلم أن عقل الرجل يستبين في أمور ثمان: الرفق والتلطف، أن يعرف الرجل نفسه ويحفظها، طاعة الملوك وتحري ما يرضيهم، ولابد لنا من أن ننتخب من نريد إرساله في ذلك من هذين الصنفين من الكتاب والأطباء؛ فإن أهل هذين يجتمع عندهم جوامع من بحور الأدب، وكنوز الحكمة، واختص من جماعتهم رجلًا كان شريفًا عالمًا يسمى أزوريه كان صاحب سره ومشورته"[1]. وهذا ما توسمه في رسوله، ولم يُخيّب ظنه.

وما أورده بزرجمهر في حق الطبيب برزويه كان قولًا صادقًا؛ فلم يغرق في مدحه، ولم يجامله مجاملة في غير محلها. بدلالة أن ملك الهند حينما كشفه وعلم بسبب زيارته الحقيقي، صارحه بذلك ثم أثنى بطبعه، قائلًا له "فإنك قدمت بلادنا لتسلبنا علومنا الرفيعة وكنوزنا النفيسة فتذهب بها إلى بلادك لتسر بها ملكك. وكان قدومك بالمكر ... ولكن لمّا رأيت صبرك، وطول مواظبتك على طلب حاجتك وتحفظك ... واحببت إخاءك ولا أعلم إني رأيت أوزن منك عقلا..."[2]، وفي هذا إثبات على مصداقية بزرجمهر وفطنة الطبيب برزويه.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص53.

[2] المصدر نفسه.

وفي الخلاصة يتضح أن مقدمة بزرجمهر من المقدمات الموجهة للقراءة، والمعينة على فهم الكتاب. إلّا أنها لم تكن طويلة بحجم مقدمة (عرض الكتاب) لابن المقفع، ولكنها شرحت موضوع الكتاب، ودعمت غرضه وغاياته. وأسست لمرحلة نقل الكتاب من الهندية إلى الفارسية وهي المرحلة الثانية من مراحل ترجمة الكتاب، فكمّلت ما بدأه ابن المقفع وتناغمت مع نصه.

3-المقدمة الذاتية الإرشادية:

مقدمة باب برزويه الطبيب من كلام بزرجمهر ابن البختكان

فهي المقدمة الذاتية الإرشادية، والمقدمة الأخيرة في الكتاب. كتبها برزويه أثناء بعثته للحصول على الكتاب من الهند، ولكنها مقدمة طويلة وصلت إلى خمسة عشر صفحة. وعلى الرغم من ذخرها بالقصص الخاصة بالطب والدواء بشكل كبير، إلا أنها وضحت زمان التأليف ومكانه، كما أنها ضمت بعض وظائف المقدمات كحال المقدمات التي سبقتها، وارتبطت صراحة بمتن الكتاب.

أ. البنيات الزمانية والمكانية:

ظهر الكتاب في زمن مشابه لزمن ابن المقفع، فقدم برزويه تعزيته للزمان بقوله "لاسيما في هذا الزمان الهرم البالي الشبيه بالصبابة والكدر... وكأن الغيّ أقبل ضاحكًا، وأدبر الرشد باكيًا، وكأن العدل أصبح غابرًا، وأصبح الجور غالبًا"[1] . وهنا دلالة على التناص التاريخي والسياسي الذي جمع مراحل نقل الكتاب وترجمته.

فجمع برزويه بين مهنته والغرض من الكتاب قال "أصبت في كتبهم أن أفضل الأطباء من واظب على طبه لا يريد إلا الآخرة، فرأيت أن أواظب عليه ابتغي ذلك"[2]. وذكر رحلته في أخذ الكتاب فيقول "وانصرفت من أرض الهند إلى بلادي، وانتسخت من كتبهم كتبًا كثيرة ومنها هذا

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص72.

[2] المصدر نفسه، ص62.

الكتاب"[1]. وهنا تعالقت بنية الزمان وبنية المكان مع وظيفة أصل الكتاب ومصادره؛ إذ تطرقت للأصول الهندية والفهلوية الفارسية، وأيضًا مع وظيفة كيفية تأليفه.

ب. وظائف المقدمة الذاتية لبرزويه:

1- الوظيفة التأصيلية:

1.1 دواعي التأليف:

بما أن برزويه هو "رأس أطباء فارس، وهو الذي ولى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند"[2]. فقد استغرق في مقدمته الحديث عن خلفيته المعرفية في الطب، ونشأته. وربط سيرته بدواعي حصوله على الكتاب فيقول "لما بلغت وعرفت أمر الطب وفضله، ورغبت في تعلمه حتى إذا شدوت منه علما، فرأيت أن أواظب عليه ابتغي ذلك ولا التمس له ثمنا، فأقبلت على مداواة المرضى رجاء ذلك"[3]؛ أي أنه سار على نهج من سبقه حينما قدّموا الخير لوجه الله حتى يشاع العلم، فلم ينتظر الأجر من الناس وكان ذلك داعيه من التأليف.

2.1 جنس التأليف:

بيّن برزويه جنس التأليف ونوعه عندما قال: "فصار أمري إلى الرضا بحالي، وإصلاح ما استطعت من عملي لمعادي، لعلي أصادف فيما أمامي زمانًا فيه دليل على هداي، وسلطان على نفسي، وأعوان على أمري وانتسخت من كتبهم كتبًا كثيرة، ومنها هذا الكتاب". ومن هذا القول يتجلى جنس الكتاب وموضوعه، المتمثل في الهَدي والتوجيه والإرشاد. من خلال أسلوب

---

(1) عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص74.

(2) المصدر نفسه، ص61.

(3) نفسه.

قصصي وضعه برزويه في مقدمته عندما حكى سيرته، وما أهلّه لكي يحصل على الكتاب وينسخه إلى قومه ونقل تجربته عبر مقدمة بابه.

3.1 أهمية الكتاب:

وضّح برزويه أهمية الكتاب في فلسفته السياسية، ومثاليته الأخلاقية "لم يمنعني ذلك من أن أصبت من الدنيا حظًا جسيمًا، ونصيبًا عظيمًا من الملوك والأولياء والإخوان، قبل أن آتي الهند، وبعد رجوعي منها" وهنا تظهر أهمية الكتاب في اشتماله على الحكم والأمثال القيمة المفيدة، التي جعلته يصيب حظوظ الدنيا، ومكاسبها وخيرّها.

2- الوظيفة التفصيلية:

1.2 أغراض الكتاب:

جاء غرض الكتاب في التوجيه والنصح والإرشاد فيقول المُقدِّم "يا نفس لا تغترّي بالغنى والمنزلة التي تُبطر أهلها، فأنها إلى انقلاب، يا نفس دومي على مداواة المرضى، يا نفس لا يبعُدن عليك أمر الآخرة الدائمة فتميلي إلى الدنيا الزائلة"[1]. فربط برزويه نصائحه التي قدمها في مقدمته بالجانب الطبي؛ وجاء ذلك بسبب تقديره لمهنته في معالجة الناس وجوانبها الإنسانية.

كما سعى إلى الحصول على الكتاب عندما استشعر فوائده الجمة لحاكمه وقومه. ومن ثم تعالق غرض الكتاب مع غرض برزويه النبيل ومهنته. فجمع في مقدمته وصايا تجمع بين الحُسنيين: الأول؛ بث وإشاعة العلم والمعرفة والأخلاق الكريمة التي دار حولها كتاب كَلِيلَة ودِمنَة. والثاني؛ الإشادة بعلاج الناس ومداواتهم لوجه الله؛ لأن "الناس بمنافعها ومنافع الطب جُهالًا"[2].

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص63.

[2] المصدر نفسه.

2.2 مقاصد التأليف:

أما قصده من الكتاب وأهميته فقد بيّنه في الآتي "فصار أمري إلى الرضا بحالي، وإصلاح ما استطعت من عملي لمعادي، لعلي أصادف فيما أمامي زمانًا فيه دليل على هداي ...، وانتسخت من كتبهم كتبًا كثيرة ومنها هذا الكتاب"[1]. ولهذا شرع في تأليف مقدمته وتدوين الحكم والوصايا مثلما فعل ابن المقفع وبزرجمهر ابن البختكان وموضوع الكتاب المتمثل في تحفيز الناس على ممارسة الأعمال الطيبّة، والتأدب فيقول "يا نفس لا يحملنّك ما تريدين على جمع ما تهلكين فيه، ... ولكن اعتبري بمن يفرج عن رجل كربة تحل به، ... يا نفس لا يبعدن عليك أمر الآخرة الدائمة فتميلي إلى الدنيا الزائلة، فكففت يدي عن الضرب والقتل والسرقة والخيانة، ونفسي عن الغضب ... ورأيت الصلاح ليس مثله قرين ولا صاحب"[2]. فكان يعلل نصائحه بخطاب خُلقي حكيم يقارن فيه العمل الصالح وما يعود به من نفع لصاحبه، بالعمل الطالع وما يجر وراءه من ضر لفاعله. وظل يسرد القصص ويدعمها بالقصص التي تُرغّب الناس في مسلك الخير مثلما فعل ابن المقفع.

3- الوظيفة التواصلية:

كان الجمهور المستهدف من مقدمة برزويه الطبيب هو برزويه؛ بمعنى أنه كان يوجه حديثه إلى نفسه، وإلى النفس البشرية عامة "فلما بلغت وعرفت ...، آمرت نفسي وذكرتها...، يا نفس أما تذكرين ما أمامك فتنسي ما تشرهين إليه ... واعلمي أن هذا الجسد ذو آفات...."[3]. ولم يذكر عنوان الكتاب، ولكن مقدمته تناسقت مع موضوع الكتاب وعنوانه.

---

(1) المصدر السابق، ص74.

(2) نفسه، ص62.

(3) عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص62.

كتب برزويه مقدمته وكأنها مونولوجا داخليًا في حديثه مع نفسه في مواضع كثيرة، وحديثه إلى النفس البشرية في مواضع أخرى، وفُهم ذلك من أسلوبه، وصياغته. فالمُقدِم هو برزويه والمُقدَّم إليه لم يتحدد بصورة بعينه.

ج. علاقة المقدمة بالمتن:

تضمنت المقدمة العديد من القصص التي ترمي إلى الوعظ والإرشاد والحكمة الفضائل، مثلما كان متن الكتاب. وتضمنت قصصًا كان برزويه في أغلبها هو الراوي، ودارت الأحداث حوله.

فشملت قصصه العديد من الحكم والأمثال التي تفيد الناس في حياتهم مثل؛ "إياك والتسويف والتواني، يا نفس لا تغتري بصحبة أحبائك وأصحابك، إن أفضل الأطباء من واظب على طبه لا يريد بذلك إلا الآخرة، يا نفس لا يبعدن عليك أمر الآخرة الدائمة فتميلي إلى الدنيا الزائلة"[1]، و"عدت إلى البحث عن الأديان والتماس العدل منها"[2]" وجدته يدلّ على الخير، ويشير بالنصح، فعل الصديق بالصديق، ووجدته لا ينقص إذا أنفق منه؛ بل يزداد على الإنفاق ويكثر"[3] إلى آخره.

---

[1] المصدر السابق.

[2] نفسه، ص66.

[3] نفسه، ص69.

المبحث الثاني: تناص خطاب المقدمات في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وطبعاته

عُرف التناص لغة بأنه (فعل): تَنَاصَتِ الأَشْيَاءُ- اِتَّصَلَتْ – تَقَابَلَتْ. لم يظهر التناص كمصطلح في المعاجم اللغوية العربية القديمة إلا بالمعنى الذي يفيد قولهم: "تناص القوم[1]"؛ أي ازدحموا وتجمعوا.

وتبلوّر الجذر الأساس للتناص مصطلحيًا وتشكّل مفاهيميًا حديثًا مع الشكلانيين الروس انطلاقًا من تشكلوفسكي الذي فتق الفكرة أول مرة؛ عندما بيّن أن الأعمال الفنية تظهر من خلال علاقتها مع الأعمال الفنية الأخرى التي تلتقي معها.

وتعيّن مفهومه كمنهجية واضحة وتقنية محددة عند جوليا كريستيفا (Julia Kristeva)، بعدما تلقفته من حوارية أستاذها باختين، لتضع له تعريفًا بأنه " جهاز نقل لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعًا الحديث التواصلي وتقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة"[2] التي جعلت التناص أحد مميزات النص المركزية والجوهرية؛ وأن النص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية[3]من النصوص السابقة، وكل نص هو تشّرب للاقتباسات من تلك النصوص[*]

---

[1] محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، طبعة الكويت، الجزء الثامن عشر، د.ت، ص128.

[2] محمد خير البقاعي وآخرون، أفاق التناصية، المفهوم والمنظور، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، الكويت،2013م، ص46.

[3] جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، د.ط، المغرب،1991 م. ص 78 – 79.

[*]ويضاف إلى مجهود جوليا كريستيفا عدد من النقاد اللذين اشتغلوا على التناص، ومنهم: ميشيل ريفاتير (Michael Rifatterre) في كتابه (إنتاج النص) الذي أصدره عام1979م وكتاب (دلائليات الشعر) 1981م.

وعرف آرثر التناص (Arthur Asa Berger) بأنه "ارتباط النصوص ببعضها البعض، بدرجات متفاوتة وذلك نتيجة لمورثنا الثقافي المشترك في أن النصوص تستفيد في بعض الحالات من الحبكات الدرامية، والأحداث والشخصيات والموضوعات"[1] ؛ إذًا فالتناص هو مساحات للتعالق والتفاعل بين النصوص، ويستعمل كأداة إجرائية تعين على تحليل النصوص وتفكيك شفراتها. كما أنه آلية تكشف مستويات تداخل النصوص مع بعضها البعض.

وبما أن البحث يتماشى مع شعرية جيرار جينيت ومفهومه للمتعاليات النصية، سأعتمد على مفهوم جيرار جينيت للتناص الذي يعده مع المناص من الأنماط الخمسة لهذه المتعاليات، فـ "النص ينتج ضمن بنية نصية سابقة له فهو يتعالق بها"[2]. فهو يرى بأن هناك نص لاحق يتعالق ويتفاعل مع نص سابق، وقسمه إلى تناص داخلي وتناص خارجي.

فـ "التناص الداخلي (المقيّد) هو تلك العلاقة الحوارية التفاعلية والتعالقية بين نصوص الكاتب مع بعضها البعض، أما التناص الخارجي (العام)، فهو تلك العلاقة التي تنسجها نصوص الكاتب مع نصوص غيره من الكُتّاب (السابقين والمعاصرين)"[3]. وأغلب ملامح التناص في هذا المبحث تناص خارجي سواء بين مؤلفي المقدمات الغيرية أو الذاتية أو كلاهما.

وللاستزادة ينظر: ناتالي بييقي غروس: مدخل إلى التناص، ترجمة: عبد الحميد بورايو، دار نينوى، ط1، سوريا،2012م.

[1] آرثر ايزابرجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم، ورمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، مصر، 2003م، ص142.

[2] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2001م. ص98.

[3] عبد الحق بلعابد، فتوحات روائية قراءة جديدة لمنجز روائي، ص258.

ولقد وجدت بحسب ما هو مُصاغ في شعرية التناص والمناص عند ج. جينيت أن المقدمات السابقة هي المقدمات الذاتية. وبحسب الترتيب الزمني للمقدمات الذاتية، أجد أن مقدمة ابن المقفع هي مقدمة لاحقة لمقدمات سابقة، وذلك بحكم أنه نقل الكتاب إلى العربية. أما المقدمات اللاحقة في الكتاب فهي المقدمات الغيرية.

المطلب الأول

تناص المقدمات الغيرية للكتاب:

1- تناص الموضوعات:

تناصت المقدمات الغيرية حول أهمية الكتاب وأصله ونسخه. فلم يغفل المُقدمين عن ذكر أهمية الكتاب عندما حددوا أهمية الكتاب ومسوغات العناية به؛ لما فيه من الحكم والأخلاق التي جاءت في قصصه الحكيمة والسديدة، مما أهلّه أن يكون محل اهتمام المؤلفين والقراء.

بدءًا بتقديم طه حسين بقوله "ففي هذا الكتاب حكمة الهند، وجهد الفرس، ولغة العرب"[1]، إلى جانب قول عبد الوهاب عزّام "عُنيت الأمم بهذا الكتاب العجيب الذي يحوي من الحكم والآداب وضروب السياسة وأفانين القصص"[2]، أما أحمد طالب الإبراهيمي قال "فهو أثر فني رفيع جمع بين الأدب والأخلاق والسياسة والحكمة"[3].

2- التناص التتابعي:

وهو تتابع مقدمة لاحقة بمقدمة سابقة، وهنا تناصت المقدمات الغيرية اللاحقة بجهود عبد الوهاب عزّام في مقدمته الغيرية السابقة. فتجلّت المصداقية في أوضح صورها، مثلما فعل طه حسين في مقدمته عندما أشاد صراحة بمجهود عبد الوهاب عزّام في التأريخ للكتاب. فلم يجحد جهود من سبقوه بل دلّ عليهم بالاسم بقوله "فالجهد القيّم الذي بذله شيخو حتى أخرج للناس أقدم

---

(1) عبد الله بن المقفع، كَلِيلَة ودِمنَة، تحقيق عبد الوهاب عزام، تصدير: طه حسين، مؤسسة هنداوي، ص8.

(2) عبد الله بن المقفع، كَلِيلَة ودِمنَة، تحقيق: عبد الوهاب عزام، تصدير: الإبراهيمي، طبعة دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص9.

(3) المصدر نفسه، ص5.

نسخة ظفر بها لم يقف عند هذا الحد، ولكن زميلي الدكتور عبد الوهاب عزّام يضيف إليه جهدًا قيّمًا"[1].

3- تقييم الكتاب:

تناصت معظم المقدمات في تقديم آرائهم حول العمل أو تقييم لعمل الغير، فعبد الوهاب قيّم الكتاب، وقيّم مجهوده في جمع نُسخ الكتاب وطبعاته. أما طه حسين فقد قيّم عمل عزّام، والأب شيخو وقيّم جهود دار المعارف في إصدار الطبعة. أما الإبراهيمي فتقييمه التقريظي للكتاب جاء في قوله" كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) من أحسن الكتب التي تمثل هذا التراث"[2]. وعوّل من خلال قوله على أهمية الكتاب التاريخية وعالميته التي مكنته من الانتقال بمحتواه الزاخر عبر العصور والأمم، وللشعوب بمختلف مشاربها.

---

[1] عبد الله بن المقفع، كَلِيلَة ودِمنَة، تحقيق عبد الوهاب عزام، تصدير: طه حسين، مؤسسة هنداوي، ص9.

[2] عبد الله بن المقفع، كَلِيلَة ودِمنَة، تحقيق: عبد الوهاب عزام، وتصدير: الإبراهيمي، طبعة دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص5.

المطلب الثاني

تناص المقدمات الذاتية للكتاب:

1- موضوع الكتاب وأصله:

تناصت المقدمات الذاتية حول موضوع الكتاب فهو "كتاب في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس"[1] الموعظة والحكمة والإرشاد وما تحمله هذه الحكم من قيم إرشاد للحاكم والشعب في نشر الفضائل للحاكم والشعب.

فمقدمة (عرض الكتاب) حينما قال ابن المقفع "هذا كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) وهو مما وضعه علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي التمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول، في النحو الذي أرادوا."[2] بالإضافة إلى مقدمة باب توجيه برزويه" إذ بلغه أن بالهند كتابًا من تأليف العلماء، وترصيف الحكماء، وتدبير الفهماء"[3]غير أن برزويه في مقدمته (بعثة برزويه) سرد قصصه في إدراك العلم والمعرفة والطب، ولم يعرّج كثيرًا على أهمية الكتاب فيقول" لعلي أصادف فيما أمامي زمانًا دليل على هداي، وسلطان على نفسي، وأعوان على أمري فأقمت على ما وصفت من حالي وانصرفت من أرض الهند إلى بلادي ، وانتسخت من كتبهم كتبًا كثيرة ومنها هذا الكتاب"[4].

2- التناص التتابعي:

تناصت المقدمة الذاتية في أن كل مُقدِم يشير للآخر، والإشارة الأوضح هي إشارة ابن المقفع؛ لأنه اللاحق الذي استفاد من ترجمات الهند إلى الفارسية.

---

[1] خالد ناصري، القصدية في كتاب كَلِيلَة ودِمنَة، دراسة تأويلية، ص9.

[2] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، ص37.

[3] المصدر نفسه، ص50.

[4] نفسه، ص74.

3- تناص العناوين:

تناصت عناوين مقدمات الكتاب في كونها جُمل إسمية تفيد ثبوت المعاني: فعنوان الكتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) هو جملة أسمية، معناها ثابت لا يفيد الاستمرارية، ولكن يتطلب القراءة لمعرفة من هو كليلة ومن هو دمنة.

و(عرض الكتاب) كذلك جملة إسمية نستطيع أن نفهم منها أن المقدمة ستعرض مضامين الكتاب. ويتضح ثبات المعاني أكثر في الجمل الطويلة وتكون أوضح، كمقدمة (توجيه كسرى أنو شروان برزويه إلى الهند) ومقدمة (باب برزويه الطبيب من كلام بزرجمهر ابن البختكان)، ولأن العنوان يرتبط بالنص في غالب الأحيان؛ دل كل عنوان على الباب الذي عنوّنه.

4- تناص القصص:

كما تناصت المقدمات في كونها جاءت مدعمة بالقصص، غير أن مقدمة (عرض الكتاب) حملت شخصيات حقيقية؛ (قصة الرجل والكنز، طالب العلم والصحيفة الصفراء)، وحملت أيضا شخصيات من عالم الحيوان (قصة الحمامة) وفي هذا الجانب تناص مع قصص الكتاب. في حين أن مقدمات برزويه وبزرجمهر حادت عن قصص الحيوان واكتفت بقصص أبطالها أناس عاديين (التاجر وثاقب الجوهر، والمصّدق المخدوع)، ولكنها تعالقت حول الموضوع والمضمون في الرصانة والأدب على شاكلة ما سبقها؛ إذ تحدثت عن التهذّب، والتعقّل، والصلاح.

المطلب الثالث

تناص المقدمات الغيرية بالمقدمات الذاتية:

تناص الخطاب المقدماتي في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة) في أغلب المقدمات على نواحي متعددة؛ إذ احتوت المقدمات الغيرية والذاتية على نصوص كثيرة متداخلة فيما بينها ومتعالقة.

1- أصل الكتاب وغرضه:

أوردت المقدمات الغيرية تعليقات على المقدمات الذاتية، حول غرض الكتاب وأصله ونسخه، ودواعي تأليفه وكيفية جمعه ونقله من الفارسية إلى العربية على يد ابن المقفع؛ إذ أن النقل آلية من آليات التناص.

2- تناص تاريخي:

تعالقت اللحظات التاريخية للمقدمات الذاتية، مع المقدمات الغيرية، فعلى الرغم من اختلاف العصور التي توالى فيها ظهور الخطاب المقدماتي للكتاب، إلا أن الواقع السياسي كان واحدًا ومشابهًا. فكانت الأمم في أوّج الحاجة إلى تقديم النص والإرشاد إلى الحكام والشعوب.

وبسبب دأب الكِتاب في تغيير الواقع السياسي وخلاص الشعب من الجهل السياسي؛ يقول الإبراهيمي في مقدمته "إن الفترة التي عاشها ابن المقفع تشبه هذه الفترة التي نعيشها اليوم"[1]. ومن هنا يتضح أن أغلب المقدمات ظهرت إبّان فترات تاريخية مستبدة. جعلت الكتاب يصدر ويعاد طبعه، منذ عصر ابن المقفع إلى عصر طه حسين. وبعد البحث تبيّن أن المقدمات ظهرت في بيئة استدعت المُقدمين على تأليف كتاب خاص بالتوجيه، بصورة جذابة تتناسب وحداثة العصر.

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، طبعة دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص6.

3- تناص هيكل المقدمة:

يضاف إلى تجليات التناص في الخطاب المقدماتي، تناص الأسلوب والوظائف الذي ظهر وفق ترتيب متسلسل وتركيب منظم. فذكرت المقدمات أهمية الكتاب ودواعي وجوده، وطريقة تكونّه وتجميعه وغالبًا ما انتهت بالجانب التقييمي. فلم تغفل أي مقدمة عن التقديم للسؤالين (لماذا) و(كيف)، مع أن ترتيب الوظائف التفصيلية لم يكن على نهج واحد. وبسبب أن المقدمة عتبة مهمة من عتبات النص في تعالقها معه، دارت كل المقدمات حول مضمون الكتاب، وكتبت بالجنس الأدبي نفسه وهو النثر.

4- التناص التتابعي:

كان هنالك تعالق نصي في المقدمات الغيرية وكذلك الذاتية؛ إذ تتالت مقدمة عزّام ومقدمة طه حسين. فمقدمة طه حسين اللاحقة تناصت صراحة مع مقدمة عزّام السابقة، وتناصت ضمنيًا مقدمة الإبراهيمي المتأخرة مع مقدمة عزّام. وتعالقت مقدمة ابن المقفع اللاحقة بمقدمة برزويه السابقة ومقدمة بزرجمهر.

5- التناص التقييمي:

قيّم ابن المقفع عمله في الكتاب، وكما قيّم الكتاب نفسه أيضا، ومن سبقوه في التأليف. كذلك الأمر في مقدمة بزرجمهر فقد عوّل على عمل مبعوثه برزويه عندما نقل الكتاب، وذكر قيمة الكتاب التي استدعتهم ليأخذوه. أما برزويه فقد قيّم عمله في نقل الكتاب، وذكر قيمة الكتاب أيضًا. وفي كل مقدمة من تلك المقدمات يُظهِر الخطاب المقدماتي أن ثمة تناصًا في طريقة تكوين الكتاب وتجميعه، بداية من الهندية ثم إلى الفارسية ثم إلى العربية، وأكثر من فصل في هذه المسألة عبد الوهاب عزّام.

6- تناص الجمهور:

تناص قراء الكتاب في مختلف طبعاته في مقدمات الكتاب، سواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر يُفهم من السياق. فعلى سبيل المثال، تناص قُراء المقدمات الغيرية في كونهم أبناء الأمة العربية، وهم جمهور مطالع ومدرك ومتعلم، ومنهم الصغير ومنهم الشاب ومنهم العالم. وعلى غرار الإبراهيمي حينما وجه الكتاب إلى الناشئة والشباب المثقف. فيقول عزّام "اتخذته وزارة المعارف كتابًا مدرسيًا، فلا تجد في مصر عالمًا ولا متعلمًا إلا أطّلع عليه وقرأه"[1] ويقول ابن المقفع في مقدمته عرض الكتاب "ولم يزل العقلاء من أهل كل زمان يلتمسون أن يعقل عنهم، فاجتباه الحكماء لحكمته، والسخفاء للهوه، وأما المتعلمون من الأحداث وغيرهم فنشطوا لعلمه، وخف عليهم حفظه"[2]. كذلك صنّف ابن المقفع قراءه على ثلاث فئات مختلفة وهم الناشئة والشباب والحكماء.

فيتضح تعالق قُراء الكتاب بكونهم جمهور مثقف على قدر من الوعي والثقافة؛ لأن الكتاب ذو قيمة عالية وقاسمه المشترك هو حب العلم والثقافة والاطلاع والمعرفة والوعي بقضايا المجتمع. وكأن كل المُقدمين سعوا إلى إرشاد القراء وتوجيههم إلى القراءة الحسنة، فتكون المقدمات دليلًا له. وغدت كل المقدمات حاملة لمفاتيح تعين القارئ على فهم الكتاب ودواعي ظهوره.

7- تناص القصص:

يمكن الوقوف على بعض معالم التناص في مقدمة عزّام التي يعرض فيها تلك القصص الواردة في الكتاب محققًا ومدققًا ومصححًا، مع مقدمة بعثة برزويه حينما حكى قصة بعثة برزويه واحتياله على ملك الهند في العثور على الكتاب. إلى جانب ما ورد في مقدمة (عرض الكتاب)

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، طبعة دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص9.

[2] المصدر نفسه، ص37.

عندما حكى مضامينها ومقدمة (باب توجيه كسرى أنوشروان برزويه إلى الهند) وعلاقتها بقصة الحصول على الكتاب.

8- تناص المقصدية:

بيّن بعض المُقدمين قصده بصريح العبارة مثل عبد الوهاب عزّام، وعبد الله بن المقفع، والإبراهيمي، وبرزويه. أما الآخرون فلم يصرحوا بمقاصدهم بصورة واضحة، وإنما فُهم قصدهم من السياق.

9- تناص النسخ:

وضّح عزّام أن نسخة ابن المقفع هي النسخة الأصلية للكتاب فيقول "أن النسخة العربية أصل لكل ما في اللغات الأخرى حاشا الترجمة السيريانية الأولى"[1] وقال ابن المقفع "وإنا لما رأينا أهل فارس قد فسرّوا هذا الكتاب وأخرجوه من الهندية إلى الفارسية ألحقنا بابًا بالعربية ليكون له أسًا ليستبين فيه أمر هذا الكتاب"[2]، ومن هنا يظهر تناص نسخ الكتاب وأصله.

10- ترتيب المقدمات:

ظهر تناص ترتيب المقدمات حينما فصّل عزّام في مكونات الكتاب وأقسامه "المقدمات وهي: مقدمة علي بن الشاه الفارسي، عرض الكتاب لابن المقفع، بعثة برزويه إلى بلاد الهند، باب برزويه الطبيب"[3] مع الترتيب الذي أورده ابن المقفع بقوله: "أول نبتدئ به بذكر بَعث برزويه إلى بلاد الهند"[4] .

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، طبعة دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص9.

[2] المصدر نفسه، ص45-46.

[3] نفسه، ص26.

[4] نفسه، ص46.

11- جنس التأليف:

اتفقت جميع المقدمات على جنس تأليف الكتاب، بأنه كتاب نثري، وردت فيه قصص حكيمة ذُكرت على ألسنة الحيوان، فلم تختلف مقدمة غيرية أو مقدمة ذاتية حول جنس الكتاب.

12- تناص الدعاء:

ختم عبد الوهاب عزّام مقدمته بدعاء "والله ولي التوفيق"[1]، وهذا يرجع إلى تأثره بشكليات الديباجة العربية، ومن بين ما علق بذهنه من مكونات المقدمات التراثية في ختم المقدمة بالدعاء والحمد. على غرار ابن المقفع في مقدمته حينما قال "فمن قرأ هذا الكتاب فليتقد بما في هذا الباب، فإنني أرجو أن يزيده بصرًا ومعرفة"[2].

وفي خلاصة التحليل تبين أن المقدمات تناصت في ثلاثة أمور رئيسة، وهي مضمون الكتاب وموضوعه التوجيهي والإرشادي، لتقدم لنا تناصًا موضوعيًا قيميًا، وبنيته الزمانية والمكانية وفيه تناص تاريخي، والجانب الحكائي فيه تناص أسلوبي.

فمؤلفين المقدمات نسجوا مقدماتهم بصورة متوازية مع النص. فجاء الخطاب المقدماتي بصورة متسقة ومتعالقة مع محتوى الكتاب؛ في تمهيدها لمضمون الكتاب، وتهيئها لعوالمه. فكانت عتبة مهمة، وصريحة في تناولها موضوع الكتاب. ساعدت القارئ على تكوين أفق توقعاته، ولم تكن في عمومها غامضة أو مبهمة.

كما أن تناص المقدمات الغيرية مع المقدمات الذاتية أنشأ وعيًا لدى القارئ، أعانه على معرفة الكتاب في أكثر من جهة. عندما تناصت المقدمات تناصًا تاريخيًا شمل الظروف المعيشية

---

[1] عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق عبد الوهاب عزّام، طبعة دار الشروق والمكتبة الوطنية، ص32.

[2] المصدر نفسه، ص45.

والواقع السياسي المعاش. وعلى ذلك كانت المقدمات نصوصًا موزاية للكتاب لم تحيد عنه، بل جعلته البؤرة التي انطلقت منه. ويبدو أن المقدمات الغيرية التي وضعها المقدمون جاءت إما تحليلية أو تقريظية أو توجيهية للكتاب، فكانت بذلك شاملة، ومبينة ومبرزة.

الخاتمة

وبعد طول بحث، أرى أن رسالتي حاولت الإجابة عن الإشكالية البحثية المطروحة في المقدمة حول اشتغال الخطاب المقدماتي في كتاب (كَليلَة ودِمنَة). فقد أظهرت أهمية العتبات داخل الدرس النقدي العربي من جهة، وضرورة الالتفات إلى عناصرها التحليلية ومنها (المقدمة) تحديدًا من جهة ثانية، خاصة إذا استنطقت مدونة أدبية تراثية، وهذا ما انتهيت إليه بأن مقدمات كَلِيلَة ودِمنَة الذاتية والغيرية؛ جاءت مُكثفة للمتن. وتوصلّت إلى ذلك بعدما بحثت عن نشأة المقدمة قديمًا وحديثًا وبعدما عالجت اشتغال الخطاب المقدماتي في الكتاب.

ووصلت إلى أن الدرس العربي التراثي كان غنيًا بمكونات العتبات النصية، ووظائفها. وتحققّ ذلك عندما فعّل آليات اشتغال الخطاب المقدماتي في المدونات التراثية. من خلال اشتغالات النقاد القدامى والمؤلفين الذين تنبهّوا إلى وجود مقدمات غيرية مُصاحبة للمقدمات الذاتية. كما مكنني المنهج المتبع من فهم كيفية اشتغال المقدمة في الكتاب، والوصول إلى غايتي البحثية.

وبناءً على ما وجدته في فصول رسالتي ومباحثها، توصّلت إلى مجموعة من النتائج البحثية تجّلى مفادها الآتي:

1- ضرورة البحث والتنقيب في المدونات العربية التراثية عن العتبات؛ لثرائها المعرفي والقيمي والفكري.

2- تنّبه مؤلفو المدونات التراثية إلى مفهوم العتبات النصية وأهميتها، فضمّنوها في مؤلفاتهم الزاخرة بها إلى يومنا هذا.

3- تحددت عتبة المقدمة في الثقافة الغربية بمجموعة من الوظائف، عيّنها جيرار جينيت في مشروعه الشعري (عتبات).

4- يصعب تجاوز عتبة المقدمة في الدرس النقدي؛ لأن القفز عنها يُحدث خللًا في فهم النص، ويشّل عملية تلقيه.

5- تُوفر المقدمة القراءة الجيدة للنص؛ وذلك من خلال إجابتها عن سؤالين أساسيين: سؤال السببية (لماذا؟) وسؤال الكيفية (كيف؟).

6- تأسست الديباجة في الدرس البلاغي العربي على عِمادين: شرح غاية الكتاب، وخطة تأليفه؛ لتعين القارئ على فهم أغراض الكتاب.

7- تشابهت عناصر الديباجة العربية مع مكونات المقدمة الغربية.

8- أرّخت مقدمات الطبعات (المقدمات الغيرية) لمراحل تأليف كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)، وكشفت كنوزه القيّمة وبخاصة مقدمة عبد الوهاب عزّام.

9- نظمّت مقدمات الكتاب الذاتية مراحل نقل الكتاب من أصله الهندي، ثم الفارسي ثم العربي.

10- استثمر عبد الله بن المقفع جميع وظائف المقدمات في مقدمته (عرض الكتاب)، فكانت مقدمة توجيهية وقريبة من أن تكون مقدمة عِلم.

11- تناصت المقدمات الذاتية في الكتاب مع المقدمات الغيرية، في العديد من المكونات مثل: السياق التاريخي، والأهمية، ورحلة التأليف، وغرض الكتاب، وكذلك نوع القُراء.

12- قدّم الخطاب المقدماتي في كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)، فكرة واضحة عن مضمون الكتاب في نشر الحكمة، والأخلاق، والتأسيس لدولة مثالية واعية.

وإكمالًا على ما بدأت؛ أوصي الباحثين على المواصلة في نهج دراسة المدونات التراثية بمقاربات نقدية حديثة؛ حتى تُضفي لمحة نقدية محدثة على معارف أدبية تراثية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية:

عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق: عبد الوهاب عزّام، تصدير: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، بيروت، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

عبد الله بن المقفع، (كَلِيلَة ودِمنَة)، تحقيق: عبد الوهاب عزّام، تصدير: طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، مصر، 2014م.

المراجع باللغة العربية:

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، د.ط، بيروت، المجلد 12-13، د.ت.

أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، مصر، الجزء الأول، د.ت.

أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين، مؤسسة الطبع والنشر المعاونية الثقافية، د.ط، إيران، الجزء الأول، 1344 هـ.

أبو بكر الصولي، أدب الكتاب، تحقيق: محمد الأثري، المكتبة العربية، د. ط، بغداد، المطبعة السلفية، مصر، 1341هـ.

أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، د.ط، بيروت، 1419 هـ

أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، د.ط، القاهرة، الجزء الأول، 1922م.

أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوانب، ط1، القسطنطينية، 1302 هـ.

أبو محمد عبد الله البطليوسي، الاقتضاب في أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، مصر، 1996م.

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (213 – 276 هـ)، أدب الكتاب، حققه: محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، د.ط، بيروت، 2006م.

أبو منصور عبد الملك الثعالبي، فقه اللغة العربية، تحقيق: جمال طلبة، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2014م،

الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، الجزء الأول، 1994م.

السعدية الشاذلي، مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي "مقدمة حديث عيسى بن هشام" و"إنشاء الروايات الحديثة"، سلسلة الأطروحات والرسائل (6)، منشورات جامعة الحسن الثاني، د.ط، المغرب، 1998م.

الهاشم اسمهر، عتبات المحكي القصير في التراث العربي الإسلامي؛ الأخبار والكرامات والطرف، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2008م.

جرجي زيدان، فتاة القيروان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، مصر، 2012م.

سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2001م.

شعيب حليفي، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2004م.

شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي، ديوان الصبابة، الجزء الأول، منشورات المكتبة الشاملة، 2010م.

عباس أرحيلة، مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، المغرب، 2003م.

عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،2008م.

//، عنفوان الكتابة ترجمان القراءة، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2013م.

//، فتوحات روائية؛ قراءة جديدة لمنجز روائي عربي متجدد، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، 2015م.

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: هيثم هلال، مؤسسة المعارف، ط1، لبنان، 2007م.

عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، أفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2000م.

عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، أفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2007م.

فتحي النصري، شعرية الألغوريا، مدخل إلى دراسة الصور السردية في الشعر الحديث، الدار التونسية للكتاب، ط1، تونس، 2015م.

فرحات الدريسي، جغرافيا الثقافة العربية الإسلامية، الدار المتوسطية للنشر، ط1، تونس، 2018م.

محمد ابن عياد، خطاب المقدمات في الشعر المغربي الحديث والمعاصر، منشورات سليكي أخوين، ط1، طنجة، 2017م.

محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، طبعة الكويت، الجزء الثامن عشر، د.ت.

محمد بنيس، الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها التقليدية، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، الجزء الأول، 1989م.

محمد خير البقاعي وآخرون، أفاق التناصية، المفهوم والمنظور، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، الكويت،2013م.

محمد عبد الغفور الكلاعي، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، تحقيق: محمد رضوان الداية، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، لبنان، 1985م.

محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1996م.

محمد غفراني، عبد الله بن المقفع، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ط، القاهرة، 1965م.

محمد مفتاح، التلقي والتأويل: مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1994م.

مصطفى سلوي، عتبات النص: المفهوم والموقعية والوظائف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، ط1، الرباط، 2003 م.

ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، ط6، القاهرة، 1982م.

نبيل منصر، النص الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2007م.

يوسف الإدريسي، عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2015م.

الكتب المترجمة:

آرثر ايزابرجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم، ورمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، مصر، 2003م.

جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، د.ط، المغرب،1991 م.

المراجع باللغة الإنجليزية:

Baldic, Chris, (1996) .Concise Dictionary of Literary Terms, New York, Oxford University Press.

Dikj, T. A. (1977). Text and context. United states of America. Longman group.

الرسائل الجامعية:

إدريس كريم محمد، الوحدات السردية في حكايات كَلِيلَة ودِمنَة – دراسة بنيوية، الطبعة الأولى، الأردن، 2009م.

حبي حكيمة، السياق التداولي في كَلِيلَة ودِمنَة لابن المقفّع، رسالة ماجستير، إشراف آمنة بلعلى، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2000م.

خالد ناصري، القصدية في كتاب كَلِيلَة ودِمنَة، دراسة تأويلية، رسالة ماجستير، بإشراف جمال مجناح، جامعة محمد بوضياف، المسلية، الجزائر، 2016م.

منال المشوي، شعرية العتبات في النثر العربي القديم أدب الكتاب أنموذجًا، رسالة ماجستير، إشراف عبد الحق بلعابد، جامعة الملك سعود، السعودية، 2015م.

المجلات:

صحيفة المثقف، العدد 2264، أستراليا، 2012م. https://tinyurl.com/yycozlba

مجلة الأثر، العدد 30، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2018م.

مجلة الموقف الأدبي، العدد 554، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2017م.

مجلة كلية الآداب، العدد 32، جامعة سلجوق، تركيا، 2014م.

مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2-3، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2008م.

مراجع شبكة الإنترنت:

معجم المعاني الجامع:

https://tinyurl.com/yyj68m6j

المكتبة الشاملة:

https://tinyurl.com/y5f3fx65